البحث العلمي المعاصر ودوره في تحقيق اهداف التنمية المستدامة

وقائع بحوث

المؤتمر العلمي الدولي لكلية التربية للبنات بالتعاون مع مؤسسة الذكوات للثقافة والفكر الفنون

للمدة من ٢٩-٣٠ /٥/ ٢٠٢٢

أ.د عبد الواحد زيارة اسكندر

رئيس المؤتمر

أ.م.د وسام احمد المطيري

رئيس مؤسسة الذكوات

أ.د صفية شاكر معتوق

المنسق العام للمؤتمر

١٤٤٤هـ

٢٠٢٢م

البصرة في ظل الاحتلال البريطاني

أ. م. د علي جودة صبيح
مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص

ان موقع البصرة المطل على الخليج العربي، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الممتلكات العثمانية ، جعلها في مركز استراتيجي مهيمن على شمال الخليج، ومرتكزا لاي تحرك عثماني نحوه[١] . وارتبطت اهمية البرة منذ البداية بالخليج العربي ،وكان لها دور واضح في احداثه. البحث الحالي يتتبع موقف البصرة من الاحتلال البريطاني ، منذ دخول القوات البريطانية الى الفاو في السادس من تشرين الثاني عام ١٩١٤، وحتى اندلاع ثورة العشرين في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠ .والمقصود بالبصرة في هذا البحث ولاية البصرة من حدودها العثمانية، التي منت سناجق (الوية) وكما يأتي :سنجق البصرة ويضم الوية البصرة والفاو والقرنة ،وسنجق العمارة ويضم اربعة اقضية وهي العمارة وقلعة صالح (شطرة العمارة) والزبير ودويريج. وسنجق المنتفق ويضم اربعة هي الناصرية والحي والشطرة وسوق الشيوخ[٢]. لذلك سيتبع البحث نماذج من مواقف ولاية البصرة، وكيفية تعاطيها مع تطور الاحتلال البريطاني.

Abstrct

The location of Basra overlooking the Arabian Gulf, and in the southeastern corner of the Ottoman possessions, made it a dominant strategic center on the northern Gulf, and a base for any Ottoman move towards it (1).
The importance of land was linked from the beginning to the Arabian Gulf, and it had a clear role in its events.
The current research traces the position of Basra towards the British occupation, since the British forces entered Al-Faw on November 6, 1914, until the outbreak of the Twentieth Revolution on June 30, 1920. Research examples of the positions of the Wilayat of Basra, and how they dealt with the development of the British occupation

تطور المصالح البريطانية في البصرة

بدأ الاهتمام البريطاني بالعراق والخليج العربي عموما، والبصرة على نحو خاص منذ اواخر النصف الاول من القرن السابع عشر، وفي النصف الثاني من هذا القرن ، ازدادت المصالح التجارية والاقتصادية ثم السياسية البريطانية ، بعد ان تحول العراق والخليج العربي الى واجهة امامية لحماية

المصالح البريطانية المتنامية في الهند ، واصبحت البصرة جزءا من الشبكة التجارية الواسعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية (١٦٠٠-١٨٥٨) .التي اتخذت توجه النشاط التجاري والسياسي البريطاني في الشرق حتى منتصف القرن التاسع عشر.

بدأت السفن الانكليزية بالتردد على البصرة منذ عام ١٦٣٥م .وعلى الرغم من التنافس الهولندي في المحيط الهندي في المحيط الهندي والخليج العربي في النصف الاول من القرن الساع عشر ، استطاع الانكليز التفوق في القرن السابع عشر . وفي عام ١٦٤٣، اسس الانكليز اول محطة تجارية لهم في البصرة ، وحصلت شركة الهند الشرية الانكليزية على موافقة الوالي العثماني بل اربع سنوات من ذلك التاريخ ، وهو اول اتصال انكليزي مباشر مع الولاة العثمانيين [٣].

اتسعت التجارة البريطانية مع البصرة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وطيلة القرن الثامن عشر، ففي عام ١٧٦٣م. نقلت شركة الهند الشرقية البريطانية مرها في بندر عباس – على الساحل الفارسي – الى البصرة ورفعت درجته الى وكالة ، في شهر اب من عام ١٧٦٤م، حصلت على موافقة الباب العالي على جعل وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة بصفة قنصل بريطاني فيها ، ولجات الشركة الى اسلوب الأغراء المالي لكسب الولاة ، فقدمت الهدايا لهم في البصرة وبغداد ، وكانت صلتها بوالي بداد تتم بالاتصال المباشر او تكليف وكيل خاص ، اذ لم يكن هناك مقيم ثابت لديه [٤].

بعد ان تمكن البريطانيون من التخلص من المنافسة الهولندية في القرن السابع ، والمنافسة الفرنسية في القرن الثامن عشر، لاسيما بعد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م. ووصول اشاعات عن محاولات فرنسية للقضاء على الوجود البريطاني في الهند، واجه البريطانيون روسية والمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للتغلغل في الخليج العربي [٥].

وكان القرن التاسع عشر مرحلة مهمة لتوطيد النفوذ البريطاني في العراق عموما ، والبصرة على نحو خاص ، وعمل القناصل البريطانيون ومعاونوهم بنشاط لتامين مصالح بلادهم . ومما له دلالته ان يطلق على ناب القنصل البريطاني لقب (الشيخ الابيض) لنفوذه الراجح بين شيوخ القبال في جنوب العراق ، وان يتقدم قنصل بريطاني في بغداد على سائر الممثلين الاجانب في المراسيم الرسمية ، مما دفع القنصل الفرنسي الى تقدين الاحتجاجات على ذلك الى الوالي والباب العالي . وهذا النشاط يعكس تزايد اهمية العراق الاستراتيجية لدى بريطانية بعد استقرار هيمنتها على الهند [٦].

ولتوطيد النفوذ البريطاني في العراق عموما والبصرة خصوصا على نحو خاص ، وصلت عدة بعثات للقيام بأعمال المسح والتخطيط في ارجائه لإيجاد طريق للمواصلات بين بريطانيا والهند يكون ممتعاً للطريق التقليدي عبر راس الرجاء الصالح ، وكانت طليعة تلك البعثات ، ارسال العقيد فرانسيس جسني ((Franis R. Chesney) على راس وفد من الخبراء الى العراق بمهمة استطلاعية لمجرى نهر الفرات وراس الخليج العربي، استغرقت حوالي خمسة اشهر(كانون الاول ١٨٣٠- نيسان ١٨٣١)

، وبعد انجاز مهمته ، قدم جسني تقريره الى الحكومة البريطانية معزا بالخرائط ، بين فيه ضرورة اتخاذ النهر وسيلة للمواصلات تربط البحر المتوسط بالخليج العربي ، وبناء على ذلك ، اصدرت الحكومة البريطانية ، في تشرين الثاني ١٨٣٤م. قرارا بتعيين جسني قائدا لبعثة تجربة طريق الفرات ، وبعد شهر واحد ، حصلت بريطانيا على (فرمان) من الباب العالي يسمح باستخدام باخرتين في نهر الفرات للأغراض التجارية [٧].

بدأت بعثة جسني مهمتها في ١٦ نيسان ١٨٣٦، مبحرة على متن الباخرتين (دجلة) و(الفرات) منحدرة مع النهر ، تمكنت البعثة من مسح اكثر من (٥٠٠) ميل من النهر . على الرغم من الكارثة التي تعرت لها دجلة ، اكملت (الفرات) مهمتها الى بداد ، ووصلت اليها في نهاية اب ، لتغادرها عائدة الى شط العرب . ومع ان تقارير جسني اظهرت عدم صلاحية الفرات للسفرات السريعة المنظمة ، الا انها اكدت ضرورة تأسيس خدمات بواخر للنقل النهري ، للأفاق التي يمكن استثمارها في مجالي الملاحة والتجارة في العراق [٨].

وبعد مغادرة جسني الى لندن لتقديم تقريره ، ترك الملازم هنري لنج (Heny B. Lynh) قائدا للباخرة (الفرات) ، مكلفاً من حكومة الهند بأجراء اتصالات مع شيوخ القبال على فتي نهر دجلة والفرات لتوطيد العلاقات معها خدمة للمصالح البريطانية ، وان يكمل مسح النهرين ، على ان ينجز واجباته المكلف بها بالتنسيق مع المقيم البريطاني فيد بغداد روبرت تايلر (Robert Taylor) . وامى لينج المدة (١٨٣٧– ١٨٣٩) منجزاً ما كلف به وبعدها قام اخوه في سنة ١٨٤٠م ، توماس لينج (Tomas Lynch) مع بع افراد الاسرة بتاسيس شركة للملاحة في نهر دجلة ، مستندا الى (الفرمان) العثماني الصادر عام ١٨٣٤م. وسرعان مانطورت هه الشركة التي حصلت على دعم الحكومة البريطانية واصبحت تعرف منذ سنة ١٨٦١م .(شركة الملاحة التجارية في دجلة والفرات) . وبورة موازية لنشاط لنج ، كلفت حكومة بومباي الكابتن فيلكس جونز (Felix Johnes) بالقيام بمسح العراق واعداد دراسة شاملة عن اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ، وبعد عمل دؤوب خلال المدة (١٨٣٤– ١٨٥٥) قدم تقريرا موسعا تمن مسحا شاملا للبلاد معززا بالخرائط واوضح فيه اهمية العراق وضرورة استثمار روس الاموال البريطانية فيه [٩].

الى جانب هذه النشاطات ، سعت بريطانيا لمد خطوط التلغراف عبر العراق الى الهند ، وحصلت على الموافقة الباب العالي عام ١٨٥٧م ، ولم تمض اربع سنوات على ذلك حتى تأسس خط تلغرافي ما بين اسطنبول وبغداد ، تم مده في السنوات اللاحقة (١٨٦٤– ١٨٦٥) الى المراكز المهمة في العراق وربطه بائران من جهة ، وبخطوط الخليج العربي الى الهند من جهة اخرى . ان اعمال السح البريطاني الشامل للعراق الذي استمر قرابة ربع قرن على ايدي الضباط البريطانيين ، ومشاريع الملاحة والتلغراف ، عززت الى حد كبير نفوذ بريطانيا في العراق وزادت اهتماما فيه [١٠].

الاوضاع السياسية في البصرة عشية الاحتلال البريطاني :

اتسمت العلاقات العثمانية – البريطانية ، خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بانعدام الثقة والتوتر ، وواجهت بريطانيا مشكلات اثرت في مصالحها الاقتصادية والسياسية ، ونشطت بالمقابل في استخدام شتى الاساليب لزيادة استغلالها وتامين مصالحها وتوسيع توغلها ولجات الى الدبلوماسية والتهديد . وفي حين كان موظفو حكومة الهند يتصلون بوالي البصرة لمتابعة قضايا الخليج وشركة لنج ، كانوا موفو وزارة الخارجية يتباحثون بهذه الامور مع الباب العالي ، وينسقون الجهود في مسيرة الدبلوماسية البريطانية لاستعمار المنطقة [١١].

بعد نجاح الاتحاديين في الوصول الى السلطة عام ١٩٠٨ ، فتحوا فرعا (لجمعية الاتحاد والترقي) في البصرة ، انتمى اليه الكثير من البصريين ، الا انه سرعان ما ظهرت روح الاستبداد لدى هذه الجمعية ، فحين جرت الانتخابات العثمانية الاولى في ظل الدستور ، في شهر ايلول ١٩٠٨، مارس الاتحاديون ضغوطا لضمان الاكثرية لهم ، اذ حاولوا الحيلولة دون فوز السيد طالب النقيب (١٨٧١– ١٩٢٧) واحمد باشا الزهير ، على الرغم من ان الاثنين كانا من اوائل المنتمين الى الجمعية في البصرة ، ساهم ذلك في تبلور موقف سياسي معارض في البصرة في وقت مبكر ، فبدا تعاون سياسي واح بين السيد طالب النقيب والشيخ مبارك الصباح (شيخ الكويت) (١٨٣٧– ١٩١٥) والشيخ خزعل (١٨٩٧– ١٩٥) شيخ عربستان ، وكان مبارك الصباح مرتبط بمعاهدة سرية مع بريطانيا منذ سنة ١٨٩٩ ، بينما حصل الشيخ خزعل على ضمان بريطاني باستقلاله عن ايران منذ سنة ١٩٠٩ ، وعقدوا مؤتمرا سياسيا في قر الشيخ خزعل بالفيلية في اذار عام ١٩٠٩ ، شارك فيه عدد من رجالات المنطقة بدعم بريطانيا لمثل هذا اللقاء لما له من اثر في ارباك السلطة العثمانية [١٢]

.

افتتح فرع (للحزب الحر المعتدل) في البصرة ، الذي كان قد تأسس في العاصمة العثمانية في الحادي والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٠٩ ، لتحقيق اللامركزية في الحكم ومقاومة محاولات الصهر القومي ، وكان الافتتاح في السادس من اب عام ١٩١١، وم الحزب عددا كبيرا من السكان بزعامة طالب النقيب ، ووقف بوجه سياسة الاتحاديين حينما الفت العناصر المعارة لسياسة الاتحاديين في شهر تشرين الثاني من العام نفسه، (حزب الحرية والائتلاف) في العاصمة اسطنبول ، تحول فرع (الحزب الحر المعتدل) في البصرة مطلع سنة ١٩١٢، الى فرع للحزب الجديد بدعوة من السيد طالب النقيب ، ولم يفت البريطانيون هذا الامر وحاولوا استلاله فزار القنصل البريطاني في البصرة السيد طالب النقيب عارا عليه تقديم مساعدة حكومته لحماية الحزب ، ولكن السيد طالب رف العرض [١٣] .

اثرت هذه الاحداث في انتخابات سنة ١٩١٢، فعلى الرغم من تدخل الاتحاديين ، فاز مرشحوا (حزب الحرية والاتلاف) في البصرة ، الى جانب اثنين من الاتحاديين ، وعلل القنصل البريطاني في

البصرة فوز الائتلافيين بانه تعبير عن تأييد السكان ، وفي الانتخابات العثمانية الثالثة التي جرت في العام نفسه ، بعد سقوط الاتحاديين بحركة عسكرية وحل البرلمان الجديد ، في شهر اب ١٩١٢ ، فاز الائتلافيون في البصرة بزعامة السيد طالب النقيب مرة اخرى ، ولكن الاتحاديين عادوا بانقلاب جديد ، في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٣ ، فحل (حزب الحرية والائتلاف) وصفي فرعه في البصرة ، في السادس والعشرين من كانون الثاني في اجتماع تراسه السيد طالب النيب وتم فيه الاتفاق مع (جمعية الاتحاد والترقي) على حل فرعها في البصرة ايضا ، ولكن هذا الأجراء لم يوقف النشاط السياسي ، اذ الفت (جمعية الاصلاح البصرية) ، في شهر شباط من عام ١٩١٣ ، وطرحت برنامجا اصلاحيا متطور ذا بعد قومي ، وانم اليها الكثير من السكان وتزعمها السيد طالب النيب ايضا . ونادت الأحزاب السياسية في البصرة باستخدام اللغة العربية رسميا ، وهكذا اصبحت البرة في هذه المدة مركز لنشر الافكار القومية في العراق ، وانتشرت مفاهيم الاحياء العربي ، واستقلال العرب من البصرة الى بغداد عام ١٩١٢ [١٤] .

نبه القنصل البريطاني في البصرة السفير البريطاني في العاصمة العثمانية من مخاطر برنامج هذه الجمعية المعارة للامتيازات الاجنبية ، وكان البريطانيون يراقبون تحركات السيد طالب النقيب وعلاقاته مع الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح ، خوفا على المالح السياسية البريطانية من اتحاد حقيقي بين النخب السياسية المتنفذة في المنطقة ، وفي الوقت ذاته ، كان العثمانيون يخططون للتخلص من طالب النيب ، بوصفه قادا للمعارضة السياسية ضدها ، لكن الاخير استطاع ان يحبط هذا التخطيط بخطة مقابلة ادت الى مقتل متصرف البصرة واد الجيش فيها [١٥] .

ادى تنامي دور السيد طالب النيب المعادي للعثمانيين الى تفكيرهم بمهادنته ، فأوعز وزير الحربية انور بك (١٨٨٢– ١٩٢٢) ، بمنحه وساما واستشارته في قضايا البصرة العامة ، مما جعل السيد طالب النقيب يعلن من جانبه ، في شباط ١٩١٤ ، قبوله الوفاق مع الحكومة ونشط في دعم إجراءات تقوية الاسطول العثماني ماليا وتحقيق صلح بين الدولة العثمانية والامير عبد العزيز بن سعود (١٨٨٠– ١٩٥٣) ، الذي كان على خلاف معها حول الأحساء ، ولكن الاتحاديين لم يكونوا صادقين في نياتهم ، فأوعزوا في تشرين الاول ١٩١٤ ، الى والي بغداد باعتقاله واصحابه الا انه شعر بالأمر وغادر البصرة الى المحمرة [١٦].

اتصف الموقف البريطاني عشية الحرب العالمية الاولى من هذه الاحداث الداخلية في البصرة بالترقب الدائم ، فنلاحظ ان القنصل البريطاني كان يتابع كل الاحداث المحلية ، ويحاول التوغل في اعماقها ، وينقل الى حكومته كل صور المعارضة للاتحاديين في البصرة ، ولم تنجح الدبلوماسية العثمانية المقابلة في مواجهة اساليب التوغل البريطانية ، واستمرت متراجعة ، تثق اكثر مما يجب بلات الدولة التقليدية بالمجتمع البصري ، ولم تلتفت الى الشك والوهن الذي بدا يصيب هذه الصلات

[١٧] . ويتح من ذلك مدى الاهمية الاقتصادية والعسكرية والسياسية والاستراتيجية التي امتازت بها البصرة بالنسبة للمصالح البريطانية في الخليج العربي والمحيط الهندي .

الاحتلال البريطاني للبصرة

لم يكن الاحتلال البريطاني للبصرة جديدا في العقلية السياسية والعسكرية البريطانية ، اذ رفعت مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية من قبل العقيد رولنسون (Rawlinson) ، القنصل البريطاني في بغداد (١٨٤٣-١٨٥٩) ، بتاريخ الثالث عشر من حزيران ١٨٥٣، يطلب : " احتلال جنود من الهند كامل قطاع الاقليم من الزاب الاسفل ومنه الى البحر ، في حالة تقسيم الامبراطورية العثمانية " . وتكررت هذه الدعوة للاحتلال سنة ١٨٧٨ و ١٩١١ ، بعد تزايد المصالح الالمانية في الخليج العربي ، ونية الماني المباسرة بمد سكة حديد بغداد – برلين الى الخليج العربي [١٨] . وجاءت الحرب العالمية الاولى فرصة مواتيه للإمبريالية البريطانية لتحقيق طموحاتها في العراق ، على الرغم من عدم وجود خطط واضحة وتفصيلية عند بداية الحرب .

في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩١١ ، اعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، وفي فجر السادس من الشهر ذاته ، اخذت قنابل السفن البريطانية تتساقط على الحامية العثمانية في الفاو . وكانت الحملة البريطانية بقيادة الجنرال ديلامين (Delamain) لذلك يطلق عليها احيانا بالحملة (D) ، واسمها في الوثائق البريطانية : Mesopotamian Expeditionary Fore (MEF) واصدر السيد برسي كوكس Pery Cox ، المستشار والضابط السياسي للحملة ، في الخامس من تشرين الثاني من عام ١٩١٤ ، بيانا اعلن فيه ان " حكومة بريطانيا العظمى اضطرت مع شديد اسفها الى الدخول في حالة حرب مع تركيا بسبب اعمالها العدوانية المستمرة ضدنا بلا مبرر ، بل بدافع تحريض حكومة المانيا التي لها غايات تريد تحقيقها من ذلك ، فاضطرت الحكومة البريطانية حينذاك ان ترسل قوة الى شط العرب لحماية تجارتها واصدقائها ولإخراج الجيوش التركية من هذه المنطقة " .

وقامت القوات البريطانية بعملية انزال في الفاو في السادس من تشرين الثاني ، بعد ان مهدت لها بقصف بحري اسكت المدافع العثمانية القديمة التي لم يتجاوز عددها اربعة مدافع، وتشتت شمل الحامية العيفة المؤلفة من فوج حدود لا يتجاوز اربعمائة بندقية ، وقطعت السفن البريطانية خط البرق العثماني بين الفاو والبصرة ، وبهذا حرمت القيادة العثمانية في البصرة من الاطلاع على تطور الموقف في الفاو [١٩]

قام العثمانيون بأرسال القوات من البرة في محاولة لايقاف البريطانيين الذين ازدادت قوتهم الى الضعف بوصول لوا اخر في الرابع من تشرين الثاني ، ووصل قائد الفرقة السادسة الجنرال باريت Barrett ، لقيادة القوة وهو اعلى رتبة من ديلامين ومعه امر بتعيين مدينة البصرة هدفا لقواته ، وتقدم

البريطانيون شمالا بمحاذاة مصب نهر الكارون ، اذا امنوا الاتصال بالمحمرة وحليفهم الشيخ خزعل [٢٠] .

لم يكد باريت يتسلم القيادة حتى وصلته برية من حكومة الهند ، هذا نصها :

" ليكن هدفك البرة ، فاذا رأيت بعد تبادل الراي مع ديلامين ان القوة التي لديك كافية فعليك بالتوجه الى البصرة "[٢١] . حاول العثمانيون تأسيس خط دفاعي لإيقاف الزحف البريطاني شمالا ، بقوتهم البالة اربعة افواج ، فاشغلوا موضعا دفاعيا في منطقة كوت الزين (الساحل) ، وتعرض هذا الموضع في السابع عشر من تشرين الثاني لهجوم بريطاني بقوة تتفوق عليه كثيرا بالعدد والعدة . ولم تصمد القوة العثمانية في موضعها سوى بع ساعات اضطرت بعدها للتراجع بعد ان منيت بخسائر فادحة ونفذ مالديها من عتاد ، ونتيجة لسو الموقف العسكري وفشل القوات العثمانية في ايقاف القوات البريطانية ، صدر امر الجلاء العثماني عن البرة ليلة التاسع عشر / العشرين من تشرين الثاني ، وشرع العثمانيون بالانسحاب في العشرين من تشرين الثاني بالقسم الاكبر من القوة نحو القرنة بجز من قواتهم يبلغ زها فوج باتجاه الخميسية نحو الناصرية [٢٢].

كتب احد الضباط البغداديين الذين وقعوا في بضة البريطانيين ، ومذكراته وهو محمد رؤوف السيد طه الشيخلي، وهذه المذكرات لاتخلو من اهمية تاريخية واجتماعية ، كما يشير عالم الاجتماع العراقي علي الوردي . وقد وقع هذا الضابط اسيرا بعد معركة (كوت الزين) .

يصف الشيخلي حالة الجيش العثماني قائلا: لم يكن لديهم في تلك الليلة اي طعام علما بانهم ياكولون شيئا منذ الصباح ، واستطاع بعض الجنود ان يحصلوا على شي من الطعام خلسة من الفوج الذي وصل قبلهم ، وهم كذلك لم تكن لديهم خيام يحتمون بها من برد الليل ، وان احد الجنود جاء يشكو اليه من شدة البرد قائلا انه كان يستدفئ نهارا بأشعة الشمس والان بعد ان غابت الشمس ماذا يصنع " [٢٣] .

وصلت السفن البريطانية الى البصرة في الحادي والعشرين من تسرين الثاني ، بعد ان اجتازت بسهولة الحواجز التي وضعها العثمانيون لسد شط العرب ، ا كانت مرتجلة وقليلة القيمة وبذات طلاع القوات البريطانية بالوصول يوم الثاني والعشرين من تشرين الثاني ، وفي الثالث والعشرين من الشهر ذاته ، وصل الجنرال باريت ، قائد الفرقة السادسة الى البصرة ومعه مستشاره السياسي السير برسي كوكس ، وجرى احتفال رفع العلم البريطاني على سراي الحكومة ، واصدرت القيادة البريطانية بيانا لأهالي البصرة حاولت فيه ان تبرر موقفها واحتلالها للبصرة ، في الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٤، مشيره انه " مالنا ادنى خصومة ولا سوء قصد نحو الاهالي الكرام ابدا .. ولكم حرية التامة للمعاطاة بأشغالكم حسب العادة واجراء وظائفكم الاعتيادية كما في السابق " [٢٤].

وفي اتون اضطرابات الحرب العالمية الاولى وجبهاتها المتعددة ، لم يكن لبريطانيا خططا واضحة للاستمرار باحتلال العراق او التوقف عند البصرة ، وظهرت فكرة الزحف نحو بغداد ، وفي

برقية ارسلها كوكس في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ، ايد فيها الزحف نحو بغداد ، الا ان القيادة العامة البريطانية رفضت الفكرة لأنها سابقة لأوانها ، الا انها وسعت هدف الحملة بعد تعزيزها بفرقة اخرى ، فتطور هدف الحملة من الاستيلاء على مدينة البرة الى الاستيلاء على ولاية البصرة ، الى جانب تطهير عربستان وحماية النفط ومؤسساته الحيوية فيها[٢٥] .

كانت القوات العثمانية قد تمركزت في القرنة بقيادة العميد صبحي بك ، وكانت قواته مشتتة ، ويعب التنسيق بينها ، وبعد سلسلة من العمليات العسكرية ، استطاع البريطانيون احتلال القرنة في التاسع من كانون الاول من عام ١٩١٤ . وفي اليوم ذاته ، اصدرت القيادة البريطانية بيانا برقم (١٤) ، كررت فيه المزاعم السابقة، بان القوات البريطانية هدفها مطاردة الجيش العثماني وليس السكان العرب . واستمر البريطانيون بزيادة عدد قواتهم الموجودة في المواقع التي احتلوها في اواخر عام ١٩١٤، وحتى نيسان من العام التالي ١٩١٥ [٢٦].

اثر سقوط القرنة تأثيرا كبيرا على المقر العام العثماني ، فصدرت الاوامر بتنحية جاويد باشا عن القيادة والولاية ، وعين للقيادة العميد الركن سليمان عسكري ، الذي سبقت له الخدمة في العراق ، واستصحب معه ثلاثة افواج تركية والفرقة الخامسة والثلاثين من الفرق العراقية التي كانت قد ارسلت الى الجبهة السورية . تسلم سليمان عسكري القيادة في العزير في العشرين من كانون الاول ١٩١٤ ، واصيب بجرح بليغ في سياقه خلال ادارته لمعركة مع البريطانيين على محور دجلة في الروطة ؛شمال القرنة ، في العشرين من كانون الثاني ١٩١٥، ما استوجب اخلاءه الى المستشفى الرئيس في بغداد [٢٧] . وضع سليمان عسكري خطة تعر مقابل لطرد البريطانيين من العراق واستعادة البرة ، وبناها على الاسس الاتية [٢٨] :

١- تشكيل ثلاثة ارتال تزحف على ثلاثة محاور وكما يأتي :

أ- الرتل الايسر يزحف على محور نهر الكارون ويتقدم نحو المحمرة .

ب-الرتل الايمن يزحف على محور نهر الفرات ويتقدم نحو البرة من اتجاه الزبير.

ج- حشد القسم الاكبر من القوة في الرتل الايمن لانزال الضربة الرئيسة من ها الاتجاه ، على ان يقوم الرتلان المركزي والايسر بالتثبيت والمشاغلة .

اصر سليمان عسكري على قيادة المعركة بنفسه ، على الرغم من عدم تماثله للشفاء ، وقد جي به محمولا على نقالة . تقدمت القطاعات العثمانية للهجوم ليلة الحادي عشر – الثاني عشر من نيسان ١٩١٥ بعد استطلاع ناقص وبموجب اوامر مبهمة ، لذلك اخفق الهجوم في تحقيق نتائج ملموسة ، وتكرر الاخفاق في هجوم ليلة الثاني عشر – الثالث عشر من نيسان ، وشرع البريطانيون بهجوم مقابل عام صباح يوم الرابع عشر من نيسان ، ساهم فيه لواء خيالة ولواء مشاة ، وبعد معركة عنيفة انهارت المقاومة العثمانية وانسحبت قواتهم نحو ادغال البرجسية دون انتظام ، وانتحر سليمان عسكري عند اطلاعه على النكبة التي حلت بقواته . وتعد معركة الشعيبة من المعارك الكبرى الحاسمة في

حرب العراق ، بلت خسائر البريطانيين فيها حوالي (١٢٠٠) بين قتيل وجريح ، بينما كانت خسائر العثمانيين والمجاهدين (٦٠٠٠) مقاتل [٢٩] .

تلت هزيمة القوات العثمانية في الشعيبة هزائم اخرى متلاحقة ، اذ استطاع البريطانيون احتلال عربستان في الرابع عشر – السادس عشر من ايار ، والعمارة في الثالث من حزيران والناصرية في الخامس والعشرين من تموز من عام ١٩١٥ فتم في خلال مدة لا تتجاوز تسعة اشهر بين (الخامس من تشرين الثاني ١٩١٤ والخامس والعشرين من تموز ١٩١٥) احتلال ولاية البصرة بكاملها ، وضمن البريطانيون بلك الحماية الكاملة لمصالحهم النفطية في عربستان ، وبعد نجاحهم في احباط ودحر التعر العثماني الي وجهه سليمان عسكري نحو الشعيبة ، اصبح موقفهم في ولاية البصرة رصيناً [٣٠] .

موقف البصرة من الاحتلال البريطاني :

هناك اختلاف واضح بين المصادر والوثائق البريطانية العراقية في تقويم موقف اهالي البصرة من الاحتلال البريطاني ، ويرتكز هذا الاختلاف على مفاصل جوهرية في طريقة تعاطي المجتمع البصري على نحو خاص والعراقي على نحو عام مع الاحتلال البريطاني وردود الفعل الاتية واللاحقة تجاه ذلك الاحتلال . فبعد اندلاع الحرب العالمية الاولى مباشرة في تشرين الثاني ١٩١٤ واندلاع العمليات العسكرية بين الامبراطورية العثمانية وبريطانيا ، انزل البريطانيون حملتهم المسماة (NEF) Mesopotamian Expeditionary Fore في راس الخليج العربي قرب البرة . وفي نهاية تشرين الثاني كانت المدينة قد اصبحت بأيدي البريطانيين ، وكانت هذه الحملة قد تم التخطيط لها كحركة مباغته Pre-emptive move لحماية المصالح البريطانية في الخليج العربي ، فادى احتلال البصرة الى عملية انتهت بالاحتلال البريطاني للأقاليم الثلاثة : البرة ، بداد والموصل في نهاية سنة ١٩١٨ [٣١].

ادت هذه الحركات ، كما يرى شارل ترب ، الى وع الاسس لتأسيس دولة العراق ومنذ هذه المدة بدا تاريخ تلك الدولة ، من هنا كان على سكان كل من هذه الاقاليم الثلاثة ان يكافح د الواقع الجديد للسلطة البريطانية ود الخطط البريطانية لمستقبلهم ، ومهما تكن ، ففي عام ١٩١٤ ، لم يكن هناك خطة واحة في لندن او الهند بشان المستقبل السياسي لبلاد ما بين النهرين Mesopotamia ، فحمله بلاد مابين النهرين (MEF) قد تحددت بالأهداف العسكرية ، الا ان المكاسب الإقليمية نظر اليها كمكاسب سياسية بحد ذاتها حتميا . وادى اختلاط هذه الدوافع الى احتلال جميع اقليم (ولاية) البرة بعد هزيمة القوات العثمانية في الشعيبة في نيسان ١٩١٥ ، وشجع على التقدم السريع للقوات البريطانية على بعد خمسين ميلا من بغداد في تشرين الثاني . ودفع الهجوم الماد العثماني هذه القوة باتجاه الكوت ، اذ حوصرت على مدى الاشهر الاربعة التالية ، واستسلمت في نيسان ١٩١٦. ادت هذه النكسة الى استراتيجية اكثر حذرا . ففي اذار ١٩١٧ ، سقطت بغداد امام القوات البريطانية ولم يتم

حتى اواخر صيف ١٩١٨ احتلال كركوك وتدمير الجيش العثماني السادس . ان الهزائم المتكررة والمتزامنة لقوى الوسط في الشرق الاوسط ، دفع الحكومة العثمانية لطلب الصلح ، ما مهد الطريق لعقد هدنة مودروس في تشرين الاول ١٩١٨ ، وفي ظل شروطها استسلمت جميع الحاميات العثمانية في بلاد مابين النهرين للبريطانيين ، وهذا دفع الاخرين الى التحرك الى الموصل ، وطلب استلامها وجلا جميع القوات العثمانية من الاقليم . ود احتج الوالي العثماني بحجة ان المول لم تكن من بلاد مابين النهرين ، لكنه اطر مع ذلك للموافقة وانسحبت القوات العثمانية من الموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ ، وتم وضع خط الهدنة في الحدود الشمالية لولاية الموصل [٣٢] .

يشير شارل ترب ان سكان الاقاليم الثلاثة تصرفوا بوسائل متباينة تجاه الاحداث التي واجهتهم بعد الاحتلال البريطاني . ففي البصرة . توصلت الشخصيات البارزة الى تفاهم سريع مع السلطات البريطانية ، التي كان لها معهم بوصفهم تجارا في الخليج العربي ، اتصالات قديمة . فخلال الخمسين سنة السابقة او اكثر ، كانت القوة البحرية والتجارية البريطانية مهيمنه في المنطقة وخضع العديد من التجار البصريين البارزين الى الامر الواقع واصبحوا مرتبطين بالبيوتات التجارية البريطانية ، لم يحاولوا الكفاح ضدهم ، وقد عزز ذلك المصالح التجارية البريطانية في بلاد مابين النهرين الى المدى الذي سيطرت فيه هذه المصالح عشية الحرب العالمية الاولى على ثلثي الحجم المتنامي للمستوردات ونصف الصادرات الخام التي تأتي من البصرة . لذلك لم يكن مفاجئا ان يتم التحول الى الحكم البريطاني بين تجار البصرة بهدوء نسبي وتسوية الممارسات المتعلقة بالجيش [٣٣] .

لا يمكن تعميم تحليل المؤرخ شارل ترب على جميع سكان البصرة ، بل يصدق رايه بالنسبة للتجار البصريين ، فيشير يوسف رزق الله غنيمة : " ان البريطانيين دخلوا البصرة وبدخولهم انفتح مجال واسع للتجارة والاعمال ، اذ انهم كانوا مسيطرين على البحار وبيدهم ويد حلفائهم مقاليد الملاحة في البحر المتوسط وبحر الهند والبحر الاحمر والخليج العربي وغيرها ما كان يسهل سبل المتاجرة والمضاربة في البصرة مرفأ العراق الوحيد ...[٣٤].وكانت الحملة البريطانية في حاجة الى المؤن والامتعة والمشروبات والتبغ للتدخين ، ففتح عهد زاهر للمتاجرة وشرع التجار يستوردون بضائع لم يكن لها سوق في العراق ، او كان نطاق المتاجرة بها ضيقا ، كالمشروبات الكحولية الاوربية ، والحليب المركز في علب ، والبسكويت والشكولاتة والعطريات وادوات الزينة والحلاقة ، واللحوم المكبوسة في علب وانواع السكائر الامريكية وغيرها [٣٥] .

لقد تحول التجار في البصرة الى وسطاء لبيع واستيراد البضائع للبريطانيين ، فحققوا ارباحا كبيرة وزادوا في ثرواتهم في مدة قياسية ، فكان موقفهم عدم مواجهة الاحتلال البريطاني ، طالما استطاعوا ان يتعايشوا معه اقتصاديا ويحققوا ارباحا طائلة .

ويشير شارل ترب ايضا ان عودة الجهاد Jihad العثمانية ضد الكفار البريطانيين بين شيعة الفرات الادنى والوسط ، واجهت استجابة متباينة ، اذ استجاب بع المجتهدين الشيعة للدعوة ، الا ان

ابرزهم كاظم اليزدي ، رفض الاستجابة . والتحقت اعداد كبيرة من ابنا العشائر بالوات العثمانية كمتطوعين ، الا ان العديد منهم انسحبوا بعد الهزيمة العثمانية في الشعيبة واحيانا عادوا الى حلفائهم [٣٦] .

وتشير فيبي مار Phebe Marr الى عدم وجود رية واضحة للبريطانيين لاحتلال بلاد مابين النهرين ، الا ان البريطانيين قرروا احتلال الفاو والبصرة لحماية مصالحهم الاستراتيجية واتصالاتهم وحقول النفط في راس الخليج العربي . وفي السادس من تشرين الثاني من عام ١٩١٤ ، نزلت القوات البريطانية في الفاو ، وفي الثاني والعشرين من الشهر ذاته نزلوا في البصرة . ولم تشر مار الى طبيعة تعاطي البصريين مع قوات الاحتلال البريطاني مركزة على الإجراءات الادارية التي قام بها البريطانيون في البصرة [٣٧]

وهكذا فالوثاق والمصادر البريطانية شحيحة في معلوماتها عن طبيعة المقاومة البصرية للاحتلال البريطاني ، وتتفق غالبيتها على ان البصريين رحبوا بالاحتلال البريطاني وتفاعلوا معه للتخلص من العثمانيين[٣٨]. اما المصادر العراقية فلها وجهة نر اخرى تختلف نوعا ما عن وجهة النظر البريطانية ، ا تورد تفاصيل متنوعة ومتباينة عن طبيعة تعاطي البصريين مع الاحتلال .

فوفقاً للمصادر العراقية المعارة بدا سكان ولاية البصرة واثناء سير العمليات العسكرية وقبل انتهاء معركة الشعيبة، وبالتنسيق مع سكان المدن العراقية الاخرى بتهيئة المتطوعين لمساعدة القوات النظامية العثمانية لمواجهة البريطانيين[٣٩] فعندما اصبحت القوات البريطانية على مشارف مدينة البصرة ، وصلت النجف برقية من وجهاء وشيوخ مدينة البصرة في التاسع من تشرين الثاني ١٩١٤ ، جاء فيها : " ثغر البرة ، الكفار به ، الجميع تحت السلاح نخشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بأمر العشار بالدفاع" . وبذلت الدولة العثمانية جهودها لأقناع علماء الدين بضرورة اعلان الجهاد ، واستجاب الكثير من العراقيين لدعوة الجهاد ، على الرغم من السياسة العثمانية التعسفية ضدهم ، وعبر عن ذلك احد المجاهدين في البصرة قائلاً : " ان الواجب الديني وواجب الوطن اعز علينا من كرامتنا وحوقنا التي هضمتها الدولة العثمانية " وعبر احد علما الدين عن مشاعره قائلا : " ادركنا مبل خطورة الحال علينا بعد احتلال الانكليز البصرة ، قمنا زرافات ووحدنا ، نتجول بين قبائل الفرات وعشائره ، نكاتب ونخاطب ونهيب بأبناء البلاد ونستنهض الهمم من ابناء العروبة ، حتى وفقنا الله الى جمع الاف مؤلفة من ابناء القبائل ، وحشدنا منهم جيوشاً مختلفة المشارب بحشد رهيب مهيب"[٤٠]، وعبر الشيخ على الشرقي (١٨٩٢-١٩٦٤) عن مشاعره في صيدة قال فيها :

قالت عصافير النخيل لنا وكان لها ضجيـج
ارطاب هذا النخيل للجاني غدت ولنا الهجيج
مابال دجلة والفرات ركدت في دنيا تمـوج
هل تدري انهار العراق ببعض مافعل الخليج

وتحشد القسم الاكبر من المجاهدين في الناصرية ، فبلغ عددهم في اواخر كانون الثاني ١٩١٥ حوالي اثني عشر الف مجاهد عربي ، والفي مجاهد كردي وتركماني ، واستر عدد المجاهدين يتزايد حتى وصل العدد بين عشرين الى ثلاثين الفا، كما تذكر المصادر العثمانية ، ويروى الاحياء من المجاهدين ، وفقا لراي الباحث محمود شكري نديم ، ان العدد كان يزيد على ذلك بكثير وقدروه بزها خمسين الف مجاهد . اعتمد سليمان عسكري على شخصيات وطنية لها مكانة شعبية او دينية او رئاسة موروثة ، فانا طبها قيادة المجاهدين ، فكان منهم النواب في مجلس المبعوثان العثماني او رؤساء الدين وكبار المجتهدين وشيوخ القبائل ، فمن هؤلاء الزعماء توفيق الخالدي ، نائب بغداد ، ومن المجتهدين والعلماء السيد عبد الرزاق الحلو والسيد محمد سعيد الحبوبي والسيد هادي المكوطر ، ومن الشيوخ عجمي السعدون وعبد الله الفالح السعدون وخيون ال عبيد وبدر الرميض ومبدر الفرعون، وكان المجاهدون يفدون عن طريق نهر الفرات من المسيب والهندية والديوانية وكربلاء والنجف الاشرف ، اما المجاهدون الاكراد والتركمان ، فمعظمهم من الجاف والهماوند ، ومن رسائلهم عبد الله صافي بك اليعقوبي ، نائب كركوك ، والسيد محمد علي قيردار والسيد احمد خانقاه والسيخ محمود الحفيد ونامق بك الهماوندي [٤١] .الا ان اهمال العثمانيين لتنيم المجاهدين وسوء ادارة العمليات وضعف التموين ادى الى تذمر المجاهدين ورجوع الكثير منهم الى ديارهم . وكان عجمي باشا السعدون من ابرز قادة المجاهدين ، اذ كان يهاجم المفارز البريطانية ، لاسيما الخيالة منها، فينق عليها على راس فرسانه المنتفكيين المنتشرين بمسافات متباعدة لتجنب تأثير نار المدافع البريطانية . وكان بسرعة مذهلة الى حيث تبتلعهم الصحراء . وحاول برسي كوكس اغراء عجمي السعدون بشتى الوعود ، الا انه رفض ذلك بإباء ولم ينقلب على العثمانيين وبقي يقاتل الى جانبهم الى ان وضعت الحرب اوزارها ، على الرغم مما تكبده من اضرار[٤٢] .

وفي معركة الشعيبة ، عهد سليمان عسكري الى المجاهدين العمل في الجناحين الايمن والايسر ، وترك المركز للقوات النامية . وبذا ابعد غير الناميين عن القوات النامية ، لتجنب الارتباك وصعوبات السيطرة والقيادة ، وكانت واجبات المجاهدين كما ياتي[٤٣] :

١- **الجناح الايمن :**

يقوم بالهجوم من اتجاه الزبير متجها نحو الشمال الغربي ، ويكون هدفه القاطع الجنوبي الشرقي من موضع الشعيبة، وكانت القوات في هذا الجناح ملفة من مجاهدي المنتفك بقيادة عجمي السعدون وعشائر بني جحيم وتسندهم خيالة المجاهدين الاكراد بقيادة ضياء بك ، ناب ازميت .

٢- **الجناح الايسر** : ويقوم بالهجوم من اتجاه مزار الامام انس ، متجها نحو الجنوب الشرقي ، ويكون هدفه القاطع الشمالي الغربي من موضع الشعيبة ، وكانت القوات في هذا الجناح ملفة من المجاهدين بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي وعبد الله الفالح السعدون وخيون ال عبيد .

٣- **المركز** : ويتألف من القوات النامية التي تهاجم جهة موضع الشعيبة زاحفة نحوه من الغرب.

لم يستطع المجاهدون التأثير في سير المعركة على نحو جدي ، عندما هاجم الجيش النظامي مواضع البريطانيين المحصنة في الثاني عشر من نيسان ، ولم يكن متوقعا ان ينجح المجاهدون في اقتحام مواضع حسنة التحصين ، ترابط بها قوات نظامية جيدة التسلح . وعندما فشل الهجوم العثماني في الثاني عشر – الثالث عشر من نيسان ١٩١٥ ، انتقلت المبادرة الى البريطانيين ، فشرعوا في حركات تعرضيه محدودة في الثالث عشر من نيسان لطرد القوات العثمانية الريبة من موضع الشعيبة . وحدث خلال هذا اليوم اشتباكات مع خيالة المجاهدين العرب والاكراد والتركمان الذين تكبدوا خسائر كبيرة بنيران المدفعية البريطانية ، وشرع البريطانيون في هجوم مقابل عام يوم الرابع عشر من نيسان ، كانت طليعة لواء الخيالة السادس ، ولم يصمد المجاهدون طويلا ازاء القوات البريطانية المتفوقة والنيران الكاسحة التي كانت تسندها ، وتضعضعت مقاومة الجنود العثمانيين المتخندقين في الروابي وانهارات المقاومة العثمانية عر يوم الرابع عشر من نيسان ، وانقلب الانسحاب المنتظم الى هزيمة ، وانتحر مسا اليوم نفسه سليمان عسكري ودفن في مقره بأدغال البرجسية [٤٤] .

انقلب بعض افراد القبال على القوات العثمانية المنسحبة وسلبوها اسلحتها ، الا ان الاكثرية الساحقة من المجاهدين ظلوا على ولائهم وانسحبوا مع القوات العثمانية ، التي تسلم قيادتها المقدم علي بك ، الى الناصرية ، ويقدر عدد الخسار التي مني بها المجاهدون عربا واكرادا وتركمانا في معركة الشعيبة حوالي ثلاثة الاف ، وتشكل ٢٥% من مجموعهم ، وخسائر القوات العثمانية النظامية الفان وخمسمائة ، وخسار البريطانيين الفا ومائتي قتيل ، اذ كانت معركة الشعيبة معركة ضارية استبسل فيها الجانبان وكان النصر للجانب الاقوى عدة لا عددا [٤٥]. ويحدد الباحث شكري محمود نديم الدروس المهمة من معركة الشعيبة بما ياتي [٤٦] :

١- الجناح الكبير الذي لقيته الدعوة الى الجهاد بين العراقيين على اختلافهم وحسن استلال سليمان للشعور الاسلامي والحماس المتدفق نتيجة هذه الدعوة .
٢- ضعف القوات غير النامية ، ولاسيما في معركة دفاعية .
٣- تعذر على القوات الغير نظامية الانتظار طويلا ، اذ ادى ذلك الى نفاذ صبرهم بمرور الوقت ما ادى الى التأثير في معنوياتهم وتفرقهم قبل الاشتباك .
٤- خطر انضمام القوات غير النامية الى العدو المنتصر اذا فشلت الحركات التعرضية .
٥- ا ن اشراك متطوعين غير نظاميين بنطاق واسع تطلب تنظيما متطورا لقيادتهم وتنسيق شؤونهم الادارية والعمل بجد للحفاظ على تماسكهم ورفع معنوياتهم او بذل العناية في تدريبهم بما يلائم انجاز الواجبات المعهود بها اليوم .

ويمكن ان نضيف الى ماكره الباحث شكري محمود نديم ان معركة الشعيبة قد مت غالبية مكونات الشعب العراقي ، وبغض النظر عن انتماءهم العرقي والطائفي ، وبصرف النظر عن المصالح الشخصية الضيقة ، في وقت لم يكن فيه مفهوم الدولة الواحدة قد ظهر للوجود رسميا. وهذا

ما يزيد من اهمية ترابط النسيج الاجتماعي العراقي في تلك المرحلة التاريخية المبكرة ، مهما كانت هذه المؤشرات والمشاعر متواضعة تغلفها تأثيرات اسلامية وعشائرية ، فأنها كانت مؤثرة في مجتمع الولايات العراقية الثلاثية .

وكان الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥) من المشاركين في معركة الشعيبة ، ويحمل رتبة ضابط احتياط ويعمل في مقر القائد العميد سليمان عسكري بمنصب ضابط ارتباط مع المجاهدين ، وكان قريبا من القاد العثماني عند انتحاره، وكتب قصيدة خلد بها معركة الشعيبة ، مما قال فيها[٤٦] :

دون (الشعيبة) اجساد موزعة ... في البيد توزع اعضاء بأجساد

وفي (النخيلة) ارماس موثقة ... علاقا بين اسياف واغماد

جيش اقام ثلاثا في خنادقهـا ... خالي الحقاب من ماء ومن زاد

صم مدافعنا ما امطرت ... ولم تكن ذات ابراق وارعاد

عشرون الف عراقي ومثلهم ... حمر الحماليق من ترك واكراد

محمرون تجافوا عن ديارهم ... واستبدلوا الوحش من اهل واولاد

مكابدين على حالي جفا ووجى ... في الرمل كلفة اغذاذ واسناد

وقائد حملوه في محفته ... الى (الشعيبة) من زوراء (بغداد)

افاتط بالعدى جيش مدبره ... معطل الجسم ملقى فوق اعداد ؟

قاد الالوف جيش مدبره ... في الحال نفس ابي ير منقاد

وكثرة اعجبته من كتابه ... فراح للنصر فيها اي مرتاد

ظن الالوف من الاعراب تعده ... فكان ماظنه فتا باعضاد

وهكذا قدم الشبيبي وفا لحال المجاهدين ، وعبر عن مرارته بعدم قدرتهم هزيمة المحتل ، الى جانب وصفه للقائد العثماني سليمان عسكري ومحاولاته تحقيق النصر ، على الرغم من المشكلات التنظيمية التي عاني منها الجيش العثماني وقوات المجاهدين غير النظامية .

شاركت الكثير من العشائر العراقية البريين في مقاومة الاحتلال ، اذ وصلت قبائل الاكراد واعالي الفرات والدليم ، وال فتلة وال ابراهيم ، وال شبل والخزاعل والعديد من ابناء النجف ، وكان يرافق السيد محمد سعيد الحبوبي عدد من شيوخ القبائل البارزين المتوجهين للبرة مثل الشيخ شعلان الجبر (الابراهيم) والشيخ جري(شيخ الزياد) ، والشيخ مبدر وعبد الكاظم ومزهر الفرهود (من شيوخ ال فتله) ، وتطوع ايا عدد من الشيوخ والسادة مثل الشيخ عبد الكريم الجزاري ، والشيخ جعفر الشيخ راي ، والسيد نور الياسري ، والسيد عبد الرزاق الحلو والسيد محسن ابو طبيخ والشيخ علي الشرقي . وبعد ان ول المجاهدون الى الناصرية ادى رجال الدين دورا بارزا في اثارة حمية وحماسة قبائل لواء المنتفق

التي وجدوها على اهبة الاستعداد ، وكانت بزعامة الشيخ خيون العبيد، شيخ قبيلة العبودة في الشطرة والشيخ عجمي السعدون(احد شيوخ اسرة ال سعدون في النارية) وشارك في التوجه الى ولاية البرة ايضا قبائل الجحيش والبو سلطان والسعيد والمسعود وبني حسن والجبور والبو هدلة والبدير وجليحة والبراجع [٤٨].

واجهت القوات البريطانية مقاومة عنيفة من قبائل منطقتي الشطرة والغراف ، فحلت اول معركة بين البريطانيين وابناء هاتين القبيلتين ، حينما كانت القوات البريطانية محاصرة في الكوت من قبل القوات العثمانية في عام ١٩١٥ ، وسميت هه المعركة بمعركة (باهيزة) ، وهو الموضع الذي حدث في القتال ، ويقع بين الشطرة والناصرية على نهر الغراف ، وتكبد البريطانيون خسائر فادحة في الارواح في هذه المعركة . من جانب اخر، خاض خيون العبيد (شيخ قبيلة العبودة) معركة ضارية ضد البريطانيين في معركة سميت بمعركة البطنجة في شباط ١٩١٦ ، حينما قاد الفا وسبعمائة مقاتلا ، معظمهم من ابناء قبيلته في محاولة لمنع سير القوات البريطانية المتوجهة نحو الكوت [٤٩] .

استخدم الشيخ خيون العبيد خطة كية عند تقدم الزوارق البريطانية عن طريق نهر الغراف باتجاه الشطرة، اذ رفع الاعلام فوق بيوت احدى القرى لإيهام البريطانيين بوجود ابنا القبائل المقاتلة في هذه القرية ، بينما اصدر تعليماته الى المقاتلين بالانتشار والاختفاء على ضفتي نهر الغراف ، وعندما اخذت الزوارق الحربية بقصف القرية ، انقض المقاتلون العراقيون على الزوارق الحربية ، واشتبكوا مع القوات البريطانية بالسلاح الابيض ، واسفرت هذه المعركة عن تكبيد البريطانيين خسائر في صفوف قواتهم ، بلغت حوالي الف قتيل ، وشاركت قبيلة البو صالح في هذه المعركة بزعامة شيخها بدر الرميض ، الذي اهدت له الحكومة العثمانية سيفا مرعا بالذهب ، وقلدته العديد من الاوسمة تثمينا لموقفه وشجاعته في مقاومة البريطانيين وبقيت مدن الشطرة وقلعة سكر والرفاعي خارج اطار السطرة البريطانية حتى اواخر عام ١٩١٧ ، واطلقت بريطانيا على هذا المحور على نهر الفرات (الجسر المكسور) ، ومارست سياسة التدمير تجاه القبائل في منطقة المنتفق (ذي قار) بعد الهزائم العسكرية التي منيت بها خلال عامي (١٩١٥– ١٩١٦) ، ففرض البريطانيون الحصار على معظم هذه القبائل ومنعوا ابنائها من التبضع من اسواق المدن ، فرد ابناء القبائل بالمثل ، حينما رفضوا تسويق منتجاتهم وبيعها في المدن ، ماسبب احراجا للقيادة البريطانية التي كانت بحاجة ماسه الى المواد الغذائية ، لذلك حاولت الاتفاق مع بعض المتعهدين والمقاولين للحصول بوساطتهم على المواد الغذائية سرا [٥٠] .

وعلى الرغم من الاجراءات التعسفية التي مارستها السلطات البريطانية ضد العشائر لمقاومتهم الاحتلال ، كمصادرة الاراضي وفرض الغرامات الجماعية والحملات التنكيلية ، لم تنجح في منع العشائر وشيوخها من مقاومة الاحتلال ، اذ رفض الشيخ علي فاضل (شيخ قبيلة خفاجة) اعلان ولائه للبريطانيين منذ اختلال مدينة الناصرية في الخامس والعشرين من تموز ١٩١٥ ، على الرغم من

محاصرة البريطانيين لقبيلته ، وواصلت القوات البريطانية ملاحقتها للشيخ بدر الرميض (البو صالح) ، الذي قال عنه بوترام توماس B.Thomas ، حاكم الشطرة السياسي ابان ثورة العشرين ، بان " بدر الرمي اقسم بعد معركة الشعيبة ان لا يهادن ولا يعقد حلفا مع الادارة البريطانية ، وظل وفيا لقسمه اذ بقي بعيدا عن نفوذ الحكومة ، ولم يعترف بالإدارة البريطانية ..[٥١].

ورفض الشيخ يالم الخيون (شيخ قبيلة بني اسد) الاذعان لسلطة الحكومة البريطانية ، وقاومها في منطقة الجبايش ، طيلة السنوات الاولى من الاحتلال ، فالقت عليه القبض ونفته الى الهند اواخر عام ١٩١٥، وضمن الاتجاه نفسه ، رفض الشيخ زبون بن ياسر (احد شيوخ البو محمد بين القرنة والعمارة) محاولات البريطانيين لكسبه الى جانبهم ، واستمرت مقاومتهم على الرغم من المغريات المادية مثل تخفيف ايجار مقاطعته الزراعية ، وكتب عنه الحاكم السياسي لقلعة سكر صالح بانه " شيخ مؤذ للمالح البريطانية ، لأنه رف كل عروض المساومة ، وكان يمتنع عن مواجهة الحكام السياسيين في منطقته ، ويتهرب من محاولاتهم اقامة علاقات معه" . وجه البريطانيون انذارا الى الشيخ زبون بن ياسر وخيروه بين التعاون او فقدان مقاطعته، فاختار الالتحاق بالعثمانيين لمحاربة القوات البريطانية المتقدمة باتجاه الشمال ، وانتهج البريطانيون الاسلوب نفسه مع الشيخ عفتان البنية ، شيخ قبيلة بني لام (بين العمارة وبني سعد) ، الذي استمر في مقاومة المحتلين ، فطلبوا منه الامتناع عن شن الهجمات مقابل منحة مالية مقدارها عشرة الاف روبية ، على ان يسلم ابنه (عبد الكريم) رهينة لدى الحاكم السياسي. وعلى الرغم من تظاهره بقبول هذا الشرط لكنه لم يلتزم به ، ثم التحق بالجانب العثماني واخ يقود الاف المجاهدين من قبيلة بني لام لمحاربة القوات البريطانية على محور دجلة [٥٢] . وعلى الرغم من المؤثرات الاسلامية والعشائرية التي وجهت حركات المقاومة د الاحتلال البريطاني فان ها الاحتلال قد ادى الى نوع من توحد العشائر العراقية في الولايات المتحدة الثلاثة لمواجهة الاحتلال ، ومهما كانت هه المؤشرات متواضعة في بعض الاحيان ، فان مدلولاتها كبيرة جدا في اطار زمانها ومكانها ، ومحاولات العثمانيين السابقة عزل الولايات الثلاثة وفصلها عن بعضها .

موقف السيد طالب النقيب من البريطانيين

ويدخل موقف السيد طالب النقيب من سلطات الاحتلال البريطاني في البصرة من مواقف البصريين من الغزو البريطاني ، فعلى الرغم من اختلاف المصادر والوثائق العراقية المعاصرة والبريطانية في تقويم شخصية طالب النقيب في العهد العثماني وعهد الاحتلال البريطاني ، على الرغم من ان موقفه يدرس في اطار المساومات السياسية لهذه الشخصية العراقية ، وتوضح كتابات علي الوردي وسليمان فيضي ، سكرتير طالب النقيب الشخصي وامين سره، ومس بيل وارنولد ولسون جوانب من هذه المواقف .

كان السيد طالب النقيب قبيل الحرب اقوى شخصية في البصرة وكان مع الشيخ خزعل والشيخ مبارك على صلة بالبريطانيين ويعملون على نشر الحركة القومية في العراق وتوقع البريطانيون ان

يتعاون معهم العثمانيين في بداية اعلان بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، وطلب القنصل البريطاني في البرة ، بولارد Bullard ، الي كان قد غادرها الى المحمرة ، من النقيب مقابلته في المحمرة واستجاب الاخير لدعوته، فركب زورقا بخاريا اوصله الى مقر الشيخ خزعل في المحمرة ، ومن هناك ذهب بصحبة الشيخ لمقابلة القنصل البريطاني [٥٣] .

وتختلف المصادر البريطانية والعراقية في نقل تفاصيل ها الاجتماع ، فيشير سليمان في ان البريطانيين طلبوا من السيد طالب ان يقدم للحلفاء جميع المساعدات الفعلية لاحتلال البصرة ، مقابل تعهد البريطانيين بتنفيذ الوعود الاتية بعد انجاز الاحتلال [٥٤] ، وفقا لرواية سليمان فيضي

١- تنصيب السيد طالب النقيب حاكما عاما على ولاية البصرة ولوائي الناصرية والعمارة .

٢- جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية والمدارس.

٣- تعيين موفين عراقيين في جميع مناصب القضاء وفي الدوائر الرسمية .

٤- جعل ادارة الاوقاف اهلية تحت اشراف الحكومة .

٥- اعفاء املاك السيد طالب واملاك اسرته من الرسوم الاميرية .

٦- تعنى الحكومة البريطانية بأمر المصارف والشؤون الاقتصادية والزراعية عناية خاصة لغرض تقدم البلاد ورقيها.

طلب السيد طالب من القنصل مهلة للتفكير في الامر ، وعاد الى البصرة . وبعد يومين ذهب الى المحمرة ثانية وهو يحمل رده على مقترحات القنصل ، اذ قال له صراحة : " ان البلاد العربية ترغب في التخلص من نير الاستعمار التركي لكي تعيش مستقلة لا لتبتلى باستعمار جديد " [٥٥] .وقدم اقتراحا بديلا تعهد فيه بإعلان الثورة على العثمانيين مستعينا بالضباط والجنود العرب وبالعشائر العراقية دون تدخل الجيش البريطاني ، وعلى البريطانيين ان يمدوه بالسلاح والمال والطائرات والفنيين فقط ، واذا تم اخراج العثمانيين من البلاد ، تؤسس فيه دولة مستقلة دستورية تحت حماية البريطانيين[٥٦] .

لم تقنع هذه المقترحات السلطات البريطانية . فيشير سليمان فيضي " ان الحكومة البريطانية قابلت هه المقترحات من السيد طالب بالرف واصرت على مقترحاتها الاولى" . فارسل السيد طالب رايه النهاي يقول فيه " اني لا اوافق على ذلك بتاتا واني سأعاضد الترك مهما كلف الامر" [٥٧] . ويعلق عالم الاجتماع العراقي البارز علي الوردي على رواية فيضي مشيرا " ان هذه الرواية التي اوردها سليمان فيضي في مذكراته لا يمكن ان تكون خالية من المبالغة على اي حال ، فهو لابد قد سمعها من السيد طالب ، وان من طبيعة من يتحدث عن نفسه ان يبالغ في ذكر الجانب المحمود من افعاله واقواله وغض النصر عن الجانب المذموم منها" [٥٨] .وربما اراد النقيب عدم التسرع في اتخاذ قرار حاسم في موضوع خطير ، في وقت لم تكن مجريات الحرب العالمية الاولى قد اتضحت بعد.

اما المصادر البريطانية فأنها تنقل وجها اخر لهذه الحادثة فتذكر مس بيل(Miss Bell) (1868–1926) في مكراتها : " ان السيد طالب تعهد لنا بان يقوم بثورة عربية لقاء اعترافنا به اميرا في منطقته ، فأرسلنا اليه بواسطة الشيخ خزعل واشرنا عليه ان يبقى في البصرة ويتعاون لترويج مصالحنا مع شيخ المحمرة وشيخ الكويت وابن سعود ، ووعدنا بإعفائه من الرسوم الحكومية عن بساتين نخيله ، وبحمايته من الاتراك ، وبالمحافظة على الامتيازات الوراثية له ولوالده النقيب [٥٩] .وهنا توقفت المفاوضات . ولم تكر مس بيل سبب توقف المفاوضات البريطانية مع النقيب [٦٠]. ولكن السيد ارنولد ولسن Arnold Wilson (1884–1940) اشار ان " السيد طالب اخذ يفاوضنا بواسطة شيخ المحمرة ولكن مطامحه كانت شخصية الى ابعد حد ، فلا تصلح ان تكون اساسا للبحث" [٦١] .

ومن الجانب الاخر ، لم تكن علاقات النقيب مع العثمانيين جيدة ، اذ وصلته معلومات تشير الى نية العثمانيين القبض عليه بعد وصول قواتهم للبصرة ، وهكذا ، اصبح السيد طالب النقيب في وضع حرج بين العثمانيين والبريطانيين ، فرتب ببراعة سياسية الخروج من هذا المأزق ، بلجوئه الى حيلة بارعة ، اذ اعد برقية مزيفة تبدو كأنها مرسلة اليه من وزير الحربية العثمانية ، انور باشا ، وفيها يطلب الاخير من النقيب السفر الى نجد لأقناع ابن سعود بمساعدة الدولة العثمانية . وانطلت الحيلة على المسولين العثمانيين في البصرة بعد ان نفذها النقيب واعوانه ببراعة متقنة . فودعه المسولون العثمانيون في البصرة لتنفيذ اوامر انور باشا . وكانت ركائبه تنتظره في (الرافضية) القريبة من الزبير [٦٢].

حاول البريطانيون مواصلة التفاوض مع النقيب ، ويشير سليمان فيضي : " ان البريطانيون ارسلوا الى السيد طالب قبل مادرته (الرافضية) رسولا يحمل رسالة سرية يتعهدون له فيها ان يجعلوه حاكما عاما مدى الحياة على المنطقة التي يحتلونها في العراق مقابل التزامه الحياد اثناء الحرب . فكان جواب السيد طالب اني ارفض كل اقتراح من هذا القبيل ، وقد عزمت على السفر الى نجد ، فابحثوا عمن يعينكم على استعمار بلاده واعلموا ا نالي لا يرضى بحكم الاتراك واخوانه في الدين حري ب هان يأبي حكم البريطانيين " [٦٣].

وبوصول النقيب الى الكويت واقامته في مقر الشيخ مبارك الصباح ، حاول كيري Kerry القنصل البريطاني في الكويت ، اقناع النقيب بقبول الاقتراح البريطاني دون جدوى [٦٤] .ولم ييأس البريطانيون من الاتصال بالنقيب ، فقدموا اقتراحا من نوع اخر، هو ان يخذ السيد طالب الى الباخرة الراسية قرب الفاو ، وعلى متنها السير برسي كوكس ، فيبقى مع كوكس حتى يتم احتلال البرة ، ثم يدخل الرجلان الى البصرة سوية ، فيكون السيد طالب حاكما عاما بينما يكون كوكس الى جانبه ممثلا للحكومة البريطانية [٦٥] .وكان رد النقيب معبرا عندما قال وفقا لرواية فيضي : " انه لو جرى ذلك حقا لكانت وصمة شنيعة وجرى وطنية لاتغتفر" [٦٦] .

حاول الشيخ مبارك الضغط على النقيب للموافقة على العرض البريطاني بعدم الموافقة على مغادرة الكويت ان استمر على اصراره بالرفض . فكان جواب النقيب وفقا لمذكرات سكرتيره سليمان فيضي : " كنت الى الان ادعوك بعمي ، اما الان فاقول لك يا مبارك ، اذا منعتني من الخروج من الكويت فاطلق من مسدسي هذا طلقتين تستقر الاولى في راسك والثانية في راسي [٦٧].

في الثامن عشر من تشرين الثاني ، وصل النقيب الى بريدة التي كان الامير عبد العزيز بن سعود يقيم فيها. والقى سليمان فيضي خطابا ارتجاليا ، مس فيه المشاعر العربية لابن سعود ، داعيا الى نصرة اهل البصرة من الغزو البريطاني واجابه ابن سعود بالموافقة على نصرة اهل البصرة [٦٨] . ويعلق الوردي على هذا الخطاب بان رد فعل ابن سعود جاء من باب الدهاء واللباقة السياسية فهو في حقيقة امره يبض الدولة العثمانية ولايريد نص رتها ، وهو يعلم ان السيد طالب مثله في هذا الشعور تجاه الدولة العثمانية فكان كل من هذين الرجلين يهر امام الجمهور ير ما يبطن ، ولكن ابن سعود كان داهية بينما كان السيد طالب ذا كبرياء ، وقد تسيطر عليه العاطفة احيانا فتدفعه الى غير مصلحته [٦٩] .

جهز ابن سعود جيشا في ٢٨ تشرين الثاني لإنقاذ الدولة العثمانية في العراق ، وصحبه طالب النقيب واصحابه . ولم تكن هذه الحركة الا مناورة عسكرية وسياسية من ابن سعود فكان يسير في كل يوم اربع ساعات ثم يستريح في الخيام حتى اليوم التالي ، وقد ادرك النقيب عدم جدية ابن سعود وانما قد كسب الوقت ريثما تنجلي المعركة المتوقعة بين العثمانيين والبريطانيين في البصرة . وفي الرابع من كانون الاول من عام ١٩١٤ ، ولوا الى موضع يدعى (الزلفي) ، ووصلتهم اخبار احتلال البريطانيين للبصرة . فعرض ابن سعود الموقف على طالب النقيب واحابه وبين له عدم جدوى الزحف ، فوافقوا على اقتراحه . وعرض ابن سعود على النقيب ان يجعله اميرا على الاحساء ، فرفض طلبه بعد ان شكره . وتم الاتفاق اخيرا على ان يسلم السيد طالب نفسه الى البريطانيين بشرط ان ينقله هؤلاء الى بومبي ويضمنوا له حرية العيش والتنقل . وحمل سليمان فيضي رسالة بهذا المعنى من ابن سعود لبرسي كوكس في البصرة [٧٠].

وفي التاسع من كانون الثاني ١٩١٥ ، ركب السيد طالب الباخرة البريطانية من الكويت التي اقلته الى بومبي . ووصف سليمان فيضي حالة النيب قبل ، فقد كانت معنوياته منهارة ، ساورته الهموم وانتابه الوساوس ، فاختلفت تلك القوات الكامنة وراء نظراته ، وتضاءلت تلك الصلابة المتناهية في شخصيته فرثيت في سري لحاله ، وعصف بي الالم ، وتمنيت لو استطعت التسرية عنه...." [٧١] .وبذلك تخل كوكس من اخطر شخصية في البصرة ، لينصرف الى مسؤولياته الكبيرة بعد احتلالها [٧٢] .

اما الوثاق والمصادر البريطانية ، فتقدم صورة اخرى لموقف النقيب في هذه المرحلة التاريخية المعقدة . فيشير الاكاديمي العراقي غسان العطية في ضوء الوثائق البريطانية : " ان الموظفين

البريطانيين فضلوا عدم العمل مع طالب النقيب لانهم لايثقون به ولايريدون خلق المشكلات في اسطنبول " . وكانت المدة بين اعلان الحرب واشتراك الدولة العثمانية فيها في نهاية تشرين الاول ١٩١٤ حرجة جدا بالنسبة للسيد طالب النقيب ، اذ كان عليه ان يقرر مع من يقف ، مع البريطانيين ام مع الاتراك [٧٣].

وفي اوائل ايلول ١٩١٤ ، ابرق المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الى نائب الملك في الهند يطلب تخويله ، في حالة الحرب مع الدولة العثمانية ، ان يقوم بمبادرات معينة نحو السيد طالب ، لقاء تعاونه مع بريطانيا ضد العثمانيين ، واقترح ان تتخذ عروضه للسيد طالب الشكل الاتي : " اعفاء بساتين النخيل العائدة له من الضرائب ، ضد اي عملية انتقامية عثمانية قد تحدث نتيجة لتعاونه مع البريطانيين ، او الاعتراف لاسرته بالتمتع بكل حقوقهم الوراثية وممتلكاتهم " [٧٤] . وايد نائب الملك في الهند الاقتراح ووافقت عليه الحكومة البريطانية في ٢٩ ايلول ١٩١٤. وزار النقيب في الخامس من تشرين الاول ١٩١٤ ، وكيل القنصل البريطاني في البصرة ، وذكر انه قال له : " ان الدولة العثمانية مصممة على الحرب وان هذا لا يلائم العرب . وهو يود ان يدخل في مفاوضات بشان موقفه في حالة قيام الاعمال العدائية بين بريطانيا والدولة العثمانية " [٧٥] .وكان موقف السفير البريطاني في اسطنبول متحفا، اذ انه لم يرغب بالتعجل في اتخاذ موقف متسرع داعم للعرب ضد الدولة العثمانية " [٧٦]. ووصف السفير البريطاني السيد طالب بانه " قد لعب على الحبلين كثيرا الامر الذي لايبرر الثقة به اطلاقا" [٧٧]. وحاول النقيب الاتصال ثانية بالبريطانيين ، لكنهم ظلوا مترددين من اقامة اية ترتيبات متعجلة معه ، بسبب الخشية من طموحاته الواسعة ، " فمن الافضل تجنب الترتيبات المحدودة مع رجل من عيار سيد طالب " [٧٨]. واقترح اللورد كرومر الاستعانة بالسيد طالب النقيب لمساعدة البريطانيين ، في حالة دخول بريطانيا الحرب ضد الدولة العثمانية ، واقتبس كرومر راي مس بيل به : " ثمة وغد شهير في البصرة هو السيد طالب النقيب ، انه يحكم البصرة وكان ماجورا من الاتراك ، وادار المفاوضات مع ال سعود ، وسيكون من السهل جدا شراؤه ، ولاسيما لانه ميال لنا " [٧٩].

وعندما عرفت حكومة الهند ان السيد طالب تلقى اوامره بالتوجه الى اسطنبول ، ابرقت الى المقيم السياسي في الخليج العربي في ٢٤ تشرين الاول ١٩١٤ ، ببذل قصارى جهده لمنع النقيب من التوجه الى اسطنبول ، وابقائه في البصرة ، والتعاون مع البريطانيين عن طريق شيخي المحمرة والكويت ، وتقديم بعض الامتيازات له ، وظلت السلطات البريطانية تتعامل مع النقيب بنوع من الشك والريبة خشية من اطلاع العثمانيين على اية اتفاقات مكتوبة معه ، واصروا على ابقاء الاتصالات معه شفهية [٨٠].

ان تسارع الاحداث السياسية والعسكرية ادى الى وضع النقيب في وضع حرج بعد ان وصلته معلومات عن نية العثمانيين تصفيته ، فحاول ان يقلل من طلباته السابقة واقتصر على طلب

تعيينه حاكما على البصرة تحت حكم البريطانيين . وبعبارة اخرى ، وافق النقيب على السماح بان تكون البصرة تحت السيطرة البريطانية الكاملة بشرط ان يكون هو الذي يدير امورهم في البصرة . وكان جواب الحكومة الهندية قارصا في صراحته [٨١] .وفقا لتعبير المؤرخ غسان العطية : " ان حكومة الهند ترفض رفضا قاطعا ان تحيد عن التأكيدات التي سبق تخويلكم بتدينها ، والتي يجب ان تكون شفهية الا اذا كنتم قد قدمتموها تحريريا . يجب ان يفهم السيد طالب بوضوح من قبل قنصل صاحب الجلالة البريطانية في المحمرة اننا في غنى تام عن خدماته "[٨٢] .

ويورد المؤرخ الاكاديمي غسان العطية ، وفقا للوثاق البريطانية ، ان التشدد البريطاني تجاه النقيب وعدم تقديم تنازلات سياسية واطلاق يده في البرة هو العوامل التي جعلته دام التنقل بين البصرة والكويت والبريدة في محاولات يائسة لإيجاد حل لوضعه المعقد .الا ان وضعه اصب حالان ميؤوسا منه لأنه نفر منه البريطانيين والعثمانيين في الوقت ذاته[٨٣] . وهذه المعلومات التي توردها المصادر البريطانية تتناقض تماما مع رواية سكرتيره الشيخ سليمان فيضي المشار لها سابقًا والذي حاول ان يهر النقيب بمهر المدافع عن المصالح الوطنية والقومية ، وانه لم يكن راغبا بان يظهر بمظهر العميل للبريطانيين خشية من حكم التاريخ .

وفي رسالة ارسلها النقي بالى السير برسي كوكس في العاشر من كانون الاول ١٩١٤ ، وح فيها تصرفاته خلال الشهر السابقة وعرض طاعته التامة ، وحاول فيها ان يبرر تصرفاته ومحاباته للعثمانيين ، خشية من انتقامهم منه ومن عائلته واقاربه . وانه غادر البرة الى الكويت والبريدة للتخلص من الضغط العثماني . ويختتم رسالته قائلا : " ان مجرد عدم افصاحي ابدا عن اي نشاط ضدكم لا قبل الحرب ولا بعدها ، والمعاملة التي خصني بها الاتراك بهما من الحجج الدامغة التي تثبت تأييدي لأراكم ورغباتكم في ان اكون معكم قلبا وقالبا ..."[٨٤].

ووفقاً للمؤرخ الاكاديمي الدكتور غسان العطية فان البريطانيين هم الذين سببوا سقوط السيد طالب في عام ١٩١٥ ، وهم الين اعادوه للحياة السياسية في عام ١٩٢٠، لينفذ سياستهم في العراق ، مع ذلك فان مطامح السيد طالب جعلت من المستحيل له مرة اخرة ان يلتزم بخط سياسي واضح كالتعاون الدائم مع البريطانيين(٨٥). ويشكك الدكتور غسان العطية في رواية سليمان فيضي عن علاقات طالب النقيب مع البريطانيين ، مشيرا ان " هذه الرواية هي من بنات مخيلة فيضي ، وان هذه الحكاية التي لا يصدقها العقل لا اساس لها من الواقع . ان اجتماعات السيد طالب مع البريطانيين كانت سرية ولم يحرها فيضي . ولا توجد اي وثيقة لأثبات اية نقطة من نقاطه ، وهو امر غير مستغرب ، اذ ان البريطانيين لم يكونوا على استعداد لتقديم اية ضمانه تحريرية للسيد طالب . والافتراض الوحيد هو ان مصدر فيضي الريس كان السيد طالب نفسه ، فان كان كذلك فان الذاكرة قد خانت الكاتب ، وهذا اقل ما يقال . ان المراسلات المذكورة اعلاه تبين ان عرض لا يمكن ان يكون صحيحا" [٨٦]. وهذا ما يتفق مع النقد الذي وجهه الوردي سابقا لرواية فيضي.

ووفقاً لما تقدم ، فان هذه المفاوضات بين هذه الشخصية العشائرية العراقية والسلطات البريطانية توضح مدى الاختلاف بين ما تنقله المصادر العراقية والوثاق والمصادر البريطانية . ومن مقارنة معلومات المصادر العراقية مع الوثاق والمصادر البريطانية يتبين لنا صعوبة الوصول الى الموقف الحقيقي لطالب النقيب: هل ان عدم وصوله الى اتفاق مع البريطانيين بسبب طموحاته الجارفة وتخوف البريطانيين من اعطاه وعودا تحريرية ؟ ام ان ذلك جاء بسبب مواقفه الوطنية وعدم تخليه عم مصالح بلاده في هذه الظروف المعقدة ، كما اشار سليمان فيضي ؟ مع ذلك فانه استمرار التوتر بين النقيب والسلطات البريطانية في العراق حتى وفاته عام ١٩٢٧، ووصف مس بيل القاسي تجاهه في مذكراتها والوثائق البريطانية ، كل ذلك يلقي ضوءا على بعض جوانب شخصية طالب النقيب ومواقفه من الاحتلال البريطاني للبصرة. الا ان مواقف النقيب الاخرى في المرحلة الاخيرة من حياته (١٩٢٠-١٩٢٧) ، توضح انه كان شخصية انتهازية تتحرك وفقا لمصالحها الشخصية . وان طموحاته الواسعة التي وصلت الى حد الترشيح للعرش العراقي ، دفعت البريطانيين الى التعامل معه بحذر ونفيه ان اقتضت الضرورة ذلك وهذا ما نلاحظه في نشاطاته التالية وعلاقاته مع البريطانيين.

المجتمع البصري والاحتلال البريطاني

فيما يتعلق بموقف المجتمع البصري من الاحتلال البريطاني ، تنوعت مواقف البصريين من هذا الاحتلال ، فالذين انتفعوا من الاحتلال من التجار والمقاولين والعمال واصحاب الاملاك والبساتين ، الذين جنوا ارباحاً طائلة لم يكونوا يحلمون بها من قبل ،وصاروا يقارنون بين الاتراك والبريطانيين ، اولئك يصادرون اموال الناس من غير تعويض وهؤلاء يشترونها بالثمن الغالي [٨٧]، تعاونوا مع الاحتلال البريطاني ولم يكونوا معادين له .

وهناك مجموعة اخرى من المتملقين الذين اطلق عليهم الوردي (اهل الجيب) الذين قامت وجاهتهم الاجتماعية على اساس التقرب من الحكام ومجالسهم ، فعندما وصل الجنرال باريت الى البصرة وبصحبته مستشاره السياسي ، برسي كوكس ، جاء الكثيرون من وجهاء البصرة للترحيب بهما ، وتهنئتهما بالنصر . وفي الاول من كانون الثاني عام ١٩١٥ ، ارسل ستة من وجهاء البصرة الى الملك جورج السادس (١٩٣٩- ١٩٥٢) برقية بمناسبة راس السنة الميلادية يعبرون فيها عن امتنانهم لإدخالهم تحت رعاية الراية البريطانية . ويورد الوردي يعضض اسماء الوجهاء وشيوخ العشائر الذين حاولوا التقرب للبريطانيين [٨٨] .

مع ذلك ، لا تمثل هذه الفة المجتمع البصري بكامله ، بل هي اقلية اذا ما قورنت باللفات الاخرى التي دفعتها وطنتيها ومشاعرها الى رفض الاحتلال بكل اشكاله ، سواء كان عثمانيا ام بريطانيا ، وتتمثل الفئة الساخطة على البريطانيين بعلماء الدين ، الذين رأوا في الاحتلال البريطاني " خراب الدين وفساد الاخلاق" . واثارت عادات البريطانيين ونظمهم الاجتماعية استنكار علماء الدين فعدوها مؤدية الى عواقب وخيمة في الدين والدنيا[٨٩] . وعبر ولسن عن ذلك بوله : " ان اكثر السكان

في البصرة لم تكن نواياهم حسنة تجاهنا ، وكانوا يحنون للأتراك ويمتعضون من انتصارنا عليهم ، فهم تحاشوا اساليبنا واستنكروا عاداتنا الريبة عليهم ، فالركبات العربة التي شاهدوها في جنودنا مثلا كانت تغيظهم وتثير اشمئزازهم [٩٠] .

ومنذ بداية الاحتلال البريطاني للبصرة ، ركز البريطانيون على استقطاب ابرز العناصر المثقفة الموجودة في المدينة . ففي عام ١٩١٥ ، عينوا مزاحم الباججي مترجما في المحاكم البريطانية الصغرى براتب قدره ماة وخمسين روبية ، وبحكم امكانياته، نقل في غضون شهرين الى المحاكم الكبرى ، اذ باشر في موقعه الجديد في حزيران ١٩٥ . وسرعان ما اكدوا في تقاريرهم انه " ذكي جدا ، يعرف الانكليزية ومثقف" . وفي نيسان ١٩١٦، اجروا اتصالات مع سليمان فيضي من اجل " معرفة حجم ونشاط الحركة العربية " ، كما اشار فيضي نفسه الى ذلك . ولم يتردد البريطانيون في تعيين بعض المثقفين في اجهزة مهمة ، مثل جهاز الشرطة ، والحرب لم تزل مستعرة، من اجل الافادة من امكانياتهم وتسخيرها لخدمة سياستهم في العراق ، فاقدموا على تعيين كاظم الدجيلي عند احتلالهم البرة ضابطا في جهاز الشرطة الذي اسسوه [٩١] . وهكذا تعاونت بعض النخب البصرية مع الاحتلال .

وادتا صحيفتا (الاوقات البصرية) و(البصرة تايمس) ، على الرغم من تاسيس البريطانيين لهما تلبية للترويج للسياسة البريطانية ، دورا بارزا في نشر الثقافة وتوعية المجتمع البصري [٩٢] . ففي عام ١٩٢٠ ، قام طاهر السلمان ، مدير مدرسة العشار الابتدائية ، بترجمة مقالات جديدة "مسلماة" الهندية المعادية لبريطانيا نشرها في صحيفة (اللسان) الطافحة بمقالات شديدة اللهجة ضد بريطانيا . ولكن سرعان ما ادركت سلطات الاحتلال نوايا طاهر السلمان من ترجمة مواد " مسلماة" فأصدرت امر يقضي بمعاقبته. ونشط طه مكي، مدير مدرسة الناصرية ، بإقامة محاضرات وحفلات تلقى فيها خطب واناشيد وطنية ، اثارت مسول الشرطة البريطاني في المدينة ، الذي رفع على اثرها تقريرا الى السلطات المسؤولة يطلب موافقتها على نفيه الى الهند، الا ان جهود مواطني المدينة حالت دون ذلك [٩٣] .

وهكذا مع الاحتلال البريطاني للبصرة، وخروج العديد من افراد الحركة الوطنية الذين تعرضوا للمطاردة العثمانية ثم البريطانية ، وتخلي شيخي الكويت والمحمرة عن دعم الحركة الوطنية ، منذ الساعات الاولى للاحتلال ، لمخالفة ذلك لتعهداتهم وروابطهم الوثيقة مع البريطانيين ، فقدت الحركة الوطنية عنصري اسناد مهيمن قوميا وماليا وجغرافيا. لهذا لم تجد السلطات المحتلة عند هيمنتها على البصرة حركة سياسية منظمة ، بل حصل انقلاب في مواقف العديد من الملاك والتجار وكبار الاغنياء لصالح هذه السلطات ، حفاظا على مصالحهم[٩٤].

حاول البريطانيون اهار الصوت الموالي للاحتلال واستبعا اراء الغالبية العمى من السكان . اذ اقتصر الاستفتاء العام الذي اقترحه ارنولد ولسون على حكومته من الرابع والعشرين من تشرين الثاني من عام

١٩١٨ على رؤساء العشار والتجار والملاكين والمتنفذين ، بينما حرم معم السكان من المساهمة فيه . وحرص ولسن من خلال تعليماته التي بعثها الى الضباط السياسيين في المناطق المختلفة في ذات اليوم الذي استلم فيه تخويل الوزارة بأجراء الاستفتاء على ان تكون النتائج موالية .فاكد لهم بانه " لا تقبل سوى الاجوبة المرضية والملائمة بالنسبة الينا" [٩٥] . وكانت نتيجة الاستفتاء مؤيدة للبريطانيين.

وعند اعلان الانتداب البريطاني على العراق في متمر سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ ، حاولت السلطات المحتلة تطويق موقف اهالي البصرة من الانتداب لمحاولة عزلها عن المدن العراقية الاخرى . فعلى الرغم من المظاهرات والاحتجاجات الواسعة التي حدثت في بغداد ومن الفرات الاوسط ، من الصعب تلمس موقف واضح للبصرة . وقد زار ولسن البصرة في ٢٨ ايار ١٩٢٠ ، وعقد اجتماع مع الشيوخ والشخصيات البارزة وتدارس معهم طبيعة موقفهم من الانتداب ، وضمن تأييدهم للسلطة المحتلة وتبرهم من مواقف الوطنيين المناوين لها. مع ذلك لم يستطيع البريطانيون ان يمنعوا نشاطات الحركة الوطنية والغليان الذي احدثته فتوى الامام محمد تقي الحائري الشيرازي ، المجتهد الاكبر في النجف ، التي صدرت في السابع والعشرين – الثامن والعشرين من ايار ١٩٢٠ ، وحث على اسناد الحركة الوطنية في بداد ، اذ احدثت هياجا في البصرة مؤيدا لنشاط الحركة الوطنية [٩٦] .

ووفقا لذلك ، حاول البريطانيون اهار صوت المتعاونين معهم في البصرة ، ومحاولة التغطية ومحاربة نشاطات الحركة الوطنية في المدينة. ولا بد من الاشارة الى ان عودة السيد طالب النقيب من مصر في شباط ١٩٢٠ قد قوى مركز السلطات البريطانية في البصرة اذ اخذ يعلن تأييده في كل مناسبة لسلطات الاحتلال " وان مصلحة العراق متوقفة على قبول الانتداب البريطاني" [٩٧].وحرصت سلطات الاحتلال على جعل البصرة بعيدة عن تطورات الاحداث الوطنية نظرا لكونها قاعدة الارتكاز والتموين الرئيسة لكل القطاعات البريطانية في العراق . ولهذا لم تظهر مشاركة فعلية للبصرة في ثورة العشرين ، التي بدأت شرارتها الاولى في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، على الرغم من ان الامر لم يخل من تعاطف شعبي تبلور في هياج وطني قاده ، بصورة رئيسة كل من السيدين يوسف كمال وحموه السيد العمري في جامع الخضيري ، وسارعت سلطات الاحتلال الى كتم انفاس هذا الهياج بنفي الاول منهما وكان لتعاون معم الشخصيات البارزة في البصرة ، انطلاقا من اسس مصلحيه مختلفة ، اثره في ضعف الحركة الوطنية فيها. وكان موف السيد طالب النقيب متعاونا ايضا مع سلطات الاحتلال ايضا واثر سلبا على الراي العام في البصرة حيال قضية الثورة . وبلغ تعاطف بعض الوجهاء في البصرة ، مع سلطات الاحتلال الى حد انهم شجبوا الثورة علنا في مأدبة عشاء خاصة اقيمت ، في الثاني من تشرين الاول من عام ١٩٢٠، لتوديع ارنولد ولسن ، وكيل الحاكم الملكي العام ، وقدم له فيها سيف شرف باسم وجوه البصرة جميعا [٩٨] .

مع ذلك ، فان هذه المواقف تعبر عن راي عدد من النخب واحاب الملحة المرتبطة مع البريطانيين ، ولا تعبر عموما عن راي غالبية المجتمع البصري الذي كان متفاعلا مع قضايا المجتمع

العراقي في المدن العراقية الاخرى ، الا ان حداثة الحركة الوطنية العرقاية عموما ، والبصرية على نحو خاص ، الدور الذي ادته سلطات الاحتلال في محاربة الحركة الوطنية العراقية الناشئة والاغراءات المادية التي قدمتها للنخب المتنفذة ، الى جانب صعوبة الاتصال والحركة في داخل المدينة الواحدة، ومع المدن العراقية الاخرى، والتعتيم الاعلامي الواسع الذي مارسته بريطانيا ، ولا سيما صحفها الناشئة في البصرة (كالأوقات البصرية) و (البصرة تايمس)، كلها عوامل اثرت على مواقف المجتمع البصري من الاحتلال البريطاني[٩٩] .

ويتضح من دراسة المصادر والوثائق العراقية والبريطانية ، ان الاولى حاولت ان تركز على مواف الحركة الوطنية ونشاطاتها لمواجهة الاحتلال ، بوصفها اكثر قربا من نبض الشارع البصري، في حين ان الثانية حاولت ان تبين تعاون المجتمع البصري مع قوات الاحتلال، وكلاهما يحتاج الى التحليل والنقد ، لان مواقف المجتمع البصري لم تكن موحدة ، بل ارتبطت بطبيعة النخب وعلاقتها مع الاحتلال وقوة الشعور الوطني وضعفه . وهكذا فان الدراسة المتأنية لموف البصرة من الاحتلال البريطاني وضحت ان هذه المواقف كانت متنوعة ومتباينة ، كتنوع مكونات هذه المدينة واتساع رعتها الجغرافية وتشكيلاتها الادارية . ومهما يكن ، فعلى المر خان يكون موضوعيا في دراسة هذه المرحلة التاريخية المعدة من تاريخ العراق المعاصر التي شهدت بدايات تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، وهور الحركة الوطنية وتياراتها السياسية المتعددة ، التي حاولت ان تنفتح فيما بعد على التيارات السياسية العربية والعالمية ، فأسهمت كل هذه العوامل في التأثير على موقف العراقيين عموما، والبصرين على نحو خاص من الاحتلال البريطاني منذ بدايات الانزال البريطاني في الفاو عام ١٩١٤، وحتى اندلاع ثورة العشرين في عام ١٩٢٠.

الهوامش :

١- حميد احمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ . دراسة تاريخية وثائقية للأوضاع السياسية والعسكرية والادارية والاقتصادية، بغداد ، مطبعة الارشاد، ١٩٧٩،ص٢٣.

٢- شكري محمود نديم ، سير عمليات الاحتلال عسكريا احوال العراق في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤- ٩١٨، من كتاب: المفصل في تاريخ العراق المعاصر ، بغداد، بيت الحكمة،٢٠٠٢ ، ص٤٢.

٣- محمود عبد الواحد محمود ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند ١٦٠٠- ١٦٦٨، رسالة ماجستير ير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٣، ص١١٩.

٤- حميد احمد حمدان التميمي، المصدر السابق، ص٤٤-٤٧.

٥- صالح محمد العابد ، هل استهدفت الحملة الفرنسية على مصر غزو الهند، دراسات في التاريخ والاثار، العدد ١ ، ١٩٨٠ ، ص١٢٣-١٤٧ :شكري محمود نديم ، المصدر السابق،ص٣٧-٣٨.

٦- صالح محمد العابد ، مقدمة في تاريخ العراق عبر العصور، كتاب ير منشور، بغداد، ١٩٩٩، ص٨٠.

7-Halford Lancaster Hoskins ,British Routes to India ,London ,Frank Cass& Co.LTD,pp.182;162,413-428.

٨- زكي صالح، بريطانيا حتى عام ١٩١٤، بغداد، ١٩٦٨،ص ص١٥٣-١٦٠.

٩- المصدر نفسه ؛ فواز جرجس مطر الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،ص٤٩-٥٠ .

١٠- صالح محمد العابد، مقدمة في تاريخ العراق عبر العصور، ص٨١-٨٢.

١١- حميد احمد حمدان التميمي، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣ .

١٢- المصدر نفسه، ص٣٢-٣٤.

13-Visit of Sayyed Talib Consul.Crow ,Basra,(FO 371,1788) ,in Reords of Iraq 1914- 1966, vol.1914-1918,edited by Alan de L. Rush, London, Archive Editions,2001,p.26;

حميد احمد حمدان التميمي،المصدر السابق،ص٣٤-٣٥ .

كان فرع البصرة (للحزب الحر المعتدل) الاكثر نشاطا وكان له تأثير كبير في نقل مفهوم انفصال العرب عن الدولة العثمانية الى العراق ، وكان (حزب الحرية والائتلاف) وهو التنظيم الذي خلف (الحزب الحر المعتدل) قد قاده النقيب ايا في البصرة. واسس طالب النقيب حزبا خاصا به هو (جمعية الاصلاح البصرية) ،سنة ١٩١٣. وكانت اول حزب سياسي عراي يصر على فصل الاقاليم العربية عن الدولة العثمانية. للمارنة انظر: Keiko Sakai ,Political Parties and Soial Network in Iraq 1908- 1920,Unpublished M.A.thesis,Univ.of Durham,Faculty of Social Sciences, Januaryy,1995,pp.4-5.

١٤- Keiko Sakai,Op.cit.,pp.4-5. وعن جمعية الاصلاح البصرية انظر الوثيقة: جمعية البصرة الاصلاحية، من القنصل كر والى المستر مايرلنك، البصرة ٢٨ اب ١٩١٣، في فؤاد قزانجي (ترجمة وتحرير) ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥- ١٩٣٠ ، بغداد دار المامون للترجمة النشر ، ١٩٨٩، ص١٠٧-١١٢.

١٥- حميد احمد حمدان التميمي،المصدر السابق،ص٣٧-٣٨ .

١٦- المصدر نفسه، ص٤٠-٤١.

١٧- المصدر نفسه، ص٤٠-٤١.

١٨- المصدر نفسه، ص٩٣- ٩٧.

١٩- شكري محمود نديم ، المصدر السابق ص٤٠-٤١.

٢٠- المصدر نفسه، ص٤١.

٢١- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مج٢ ، ج٤، من عام ١٩١٤- ١٩١٨، بيروت ، ١٩٦٢، ص١٣٥.

٢٢- شكري محمود نديم، المصدر السابق،ص٤٢-٤٣.

٢٣- محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة ، البصرة ١٩٧٢،ج٢ ، ص٣٢٧-٣٥١؛ علي الوردي ، المصدر السابق، ص١٣٦.

٢٤- شكري محمود نديم، المصدر السابق،ص٤٣-٤٤.

٢٥- المصدر نفسه، ص٤٥.

٢٦- المصدر نفسه ، ص٤٦-٤٧.

٢٧- علي الوردي ، المصدر السابق، ص١٤١-١٤٤؛ شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص٤٨.

٢٨- شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص٤٨.

٢٩- المصدر نفسه ، ص٤٨-٤٩.

٣٠- المصدر نفسه ، ص٤٨-٥٨ .

31- Charles Tripp,A History of Iraq ,2nd ed., Cambridge ,Cambridge univ.press,2002,p.31.

32-Ibid.,pp.31-32.

33-Ibid.,p.32

٣٤- يوسف رزق الله غنيمة، تجارة العراق قديما وحديثا، بغداد ، ١٩٢٢، ص١١٣-١٢٧.

٣٥- المصدر نفسه،علي الوردي، المصدر السابق، ص١٤٤-١٤٥.

36- Charles Tripp,op.cit.,p.32.

37-Phebe Marr, The Modern History of Iraq,London, Westview Press,1985,pp.30-31.

٣٨-انظر ماروته الوثائق البريطانية في :

Reords of Iraq,vol.pp.171-266.

٣٩- شكري محمود نديم ، المصدر السابق ،ص٥٠-٥١.

٤٠- مقتبس في : علي ناصر حسين ، مقاومة العراقيين للاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٧، ضمن كتاب : المفصل في تاريخ العراق المعاصر، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٢، ص١٢٣-١٢٤

٤١- الشيخ علي الشرقي ، الاحلام،القسم الرابع، جمع وتحقيق موسى الكرباسي، بغداد،مطبعة العمال المركزية، ١٩٩١، ص٢٩٧.

٤٢- شكري محمود نديم، المصدر السابق،ص٥٠-٥١.

٤٣- المصدر نفسه،ص٥٢ .

٤٤- المصدر نفسه ،ص٥٢-٥٣ .

٤٥- المصدر نفسه، ص٥٣ .

٤٦-المصدر نفسه ،ص٥٣-٥٤ ، علي الوردي ، المصدر السابق،ص٢١٢-٢١٣ .

٤٧- شكري محمود نديم ، المصدر السابق،ص٥٤- ٥٥ .

٤٨- محمد رضا الشبيبي، ديوان الشبيبي، القاهرة، ١٩٤٠،ص٤٧-٤٩ .

٤٩- علي ناصر حسين، المصدر السابق،ص١٢٣-١٢٥ .

٥٠- المصدر نفسه ، ص١٢٧-١٢٨ .

٥١- المصدر نفسه، ص١٢٨-١٢٩ .

٥٢- المصدر نفسه ،ص١٢٨-١٣٠ .

٥٣- سليمان فيضي ، مذكرات سليمان فيضي،من رواد النهة العربية في العراق، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، لندن، دار الساقي ،١٩٨٨،ص١٩٤؛ علي الوردي ، المصدر السابق، ص١٢٦ .

٥٤- المصدر نفسه، ص١٩٤-١٩٥؛ وعن نشاط طالب النقيب وحياته السياسية انظر: حسين هادي الشلاه، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث، رسالة ماجستيرير منشورة، كلية الاداب ، جامعة عين شمس،١٩٨١.

٥٥- سليمان فيضي ، المصدر السابق،ص١٩٥-١٩٦ .

٥٦- علي الوردي ،المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧ .

٥٧- سليمان فيضي، المصدر السابق ،ص١٩٥-١٩٦ .

٥٨- علي الوردي ،المصدر السابق ،ص١٢٧ .

٥٩- المس غروترود لوثيان بيل ، فصول من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة: جعفر خياط، بيروت،١٩٧٠،ص٥ .

٦٠- علي الوردي ،المصدر السابق، ص١٢٧.

61-Arnold Wilson, Loyalties of Mesopotamia ,1914- 1917,1917-1920,Oxford,1963,vol.1,p.18.

٦٢- علي الوردي ، المصدر السابق،ص١٢٨-١٢٩ .

٦٣- سليمان فيضي ، المصدر السابق،ص١٩٧-١٩٨ .

٦٤- المصدر نفسه، ص١٩٨ .

٦٥- علي الوردي ،المصدر السابق، ص١٢٠ .

٦٦- سليمان فيضي ، المصدر السابق، ص١٩٨.

٦٧- المصدر نفسه ،ص١٩٩ .

٦٨- المصدر نفسه ، ص٢٠٠-٢٠١ .

٦٨- علي الوردي المصدر السابق، ص١٣١ .

٧٠- المصدر نفسه، ص١٢٣.

٧١- سليمان فيضي، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٦؛ ظلت علاقات السيد طالب متوترة مع البريطانيين ، بسبب اصراره على احقيته بالعرش العراق .ففي احدى الحفلات التي اقامها في ١٤ نيسان ١٩٢١، على شرف الصحفي البريطاني ايس لاندن، مراسل صحيفة Daily Telegraph اللندنية وحضرها عدد من الموفين البريطانيين ، والشيوخ والقنصلان الفرنسي والفارسي، والقى السيد طالب النقيب كلمة يفهم منها سخطه على

بريطانيا وهدد باستخدام نفوذه في البلاد لمعارضة السياسة البريطانية .وقد نقلت مس بيل ، التي تشير بعض المصادر الى حضورها الحفلة وتشير اخرى الى عدم حضورها ، مادار في الحفل الى السير برسي كوكس ، المندوب السامي في العراق (١٩٢٠-١٩٢٣) ، الذي اصدر امره باعتقاله في نيسان ١٩٢١ ، بعد خروجه من حفلة اقامتها الليدي كوكس وحضرها اضافة الى طالب النقيب، عدد من الموظفين البريطانيين وزوجاتهم . وقد تم نفي طالب النقيب الى جزيرة سيلان في المحيط الهندي. وظلت علاقته سيئة مع البريطانيين حتى وفاته عام١٩٢٧ .

انظر: محمد يوسف ، ابراهيم القريشي ، المس بيل واثرها في الساسية العراقية، بغداد، مكتبة اليقة العربية ، ٢٠٠٣،ص١٤٩-١٥١ .

٧٢- منتهى عذاب ذويب ، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد،١٩٩٥، ص٩٢ .

٧٣- غسان العطية، العراق نشاة الدولة ،لندن ، دار السلام ،١٩٨٨ ، ص١٢٢.

74-F.O.371/2143/54139;

مقتبس في : غسان العطية، المصدر السابق،ص١٢٣ .

75-F.O.371/2140/57074.

مقتبس في : غسان العطية، المصدر السابق،ص١٢٣ .

٧٦- غسان العطية، المصدر السابق،ص١٢٣ .

77-Sir L. Mallet Telegraph to Sir Gery, dated 7th October,1914.

مقتبس في : غسان العطية، المصدر السابق،ص١٢٣ .

78-F.O. 371/2144/75511.Private Telegram No.123 dated 9th October 1914,from the British Resident in the Persian Gulf, Bushier .

79-Cab. 371/121/124, Very Confidential, Memorandum by romer Respecting the Steps to be taken in the event of war with Turkey, dated 16th October 1914.

مقتبس في : غسان العطية، المصدر السابق،ص١٢٤ .

٨٠- غسان العطية ،المصدر السابق،ص١٢٤-١٢٥ .

٨١- المصدر نفسه ،ص١٢٦ .

82-F.O. 371/2144/82713. Telegram dated 4th November 1914,from the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, to the Political Resident in the Persian Gulf , Bushire.

مقتبس في : غسان العطية، المصدر السابق، ص١٢٦ .

٨٣- غسان العطية ، المصدر السابق،ص١٢٦-١٢٧ .

84- F.O. 371/2479/21633. Enclosur No.4 Translation of a letter Sayid Talib to Sir Percy Cox, Political Officer with the Indian Expeditionary Force , dated the 22nd Muharram 1333,corresponding to 10th December, 1914.

مقتبس في : غسان العطية، المصدر السابق، ص١٢٧-١٢٨ .

٨٥- غسان العطية ، المصدر السابق، ص١٢٨ .

٨٦- المصدر نفسه،ص١٢٨-١٢٩ .

٨٧- علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٤٦ .

٨٨- المصدر نفسه، ص١٤٨ .

٨٩- المصدر نفسه ، ص١٤٨ .

90-Arnold Wilson ,Op.Cit.,p.20.

٩١- عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨- ١٩٣٢ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب /جامعة بغداد، ١٩٩٠،ص٢٣٩-٢٤٠ .

٩٢- المصدر نفسه، ص٢٦٩ .

٩٣- المصدر نفسه ،ص٢٦٩-٢٧٠ .

٩٤- حميد احمد حمدان التميمي ، المصدر السابق،ص٥٩٨- ٦٠٠ .

٩٥- المصدر نفسه ،٦٠٣-٦٠٦ .

٩٦- المصدر نفسه،ص ٦٠٩- ٦٠٨ .

٩٧- المصدر نفسه ،٦٨- ٦١٣ .

٩٨- المصدر نفسه ،ص ٦١٣- ٦١٦ .

٩٩- من الجدير بالذكر ان اربعة الاف وخمسمائة شخصية بصرية يتزعمها سبعة من كبار وجهاء البصرة، قدمت عريضة الى المندوب السامي ، برسي كوكس ، تتكون من ثلاث

قائمة المصادر :

الوثائق الاجنبية

1-F.O. 371/2144/75511.Private Telegram No.123 dated 9th October 1914,from the British Resident in the Persian Gulf, Bushier .

2-Cab. 371/121/124, Very Confidential, Memorandum by romer Respecting the Steps to be taken in the event of war with Turkey, dated 16th October 1914.

3-F.O. 371/2144/82713. Telegram dated 4th November 1914,from the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, to the Political Resident in the Persian Gulf , Bushire.

4- F.O. 371/2479/21633. Enclosur No.4 Translation of a letter Sayid Talib to Sir Percy Cox, Political Officer with the Indian Expeditionary Force , dated the 22nd Muharram 1333,corresponding to 10th December, 1914.

الوثائق العربية

١- الوثيقة: جمعية البصرة الاصلاحية، من القنصل كر والى المستر مايرلنك، البصرة ٢٨ اب ١٩١٣، في فؤاد قزانجي (ترجمة وتحرير) ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥- ١٩٣٠ ، بغداد دار المامون للترجمة النشر ، ١٩٨٩،

الرسائل والاطاريح الجامعية

١-حسين هادي الشلاه، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث، رسالة ماجستيرير منشورة، كلية الاداب ، جامعة عين شمس،١٩٨١.

٢-فواز جرجس مطر الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد

٣-عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨- ١٩٣٢ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب /جامعة بغداد، ١٩٩٠

٤-محمود عبد الواحد محمود ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند ١٦٠٠-١٦٦٨، رسالة ماجستير ير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٣.

٥-منتهى عذاب ذويب ، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد،١٩٩٥

المصادر العربية

١- ابراهيم القريشي ، المس بيل واثرها في الساسية العراقية، بغداد، مكتبة اليقة العربية ، ٢٠٠٣

٢- الشيخ علي الشرقي ، الاحلام،القسم الرابع، جمع وتحقيق موسى الكرباسي، بغداد،مطبعة العمال المركزية، ١٩٩١

٣- المس غروترود لوثيان بيل ، فصول من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة: جعفر خياط، بيروت،١٩٧٠

٤- حميد احمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ . دراسة تاريخية وثائقية للأوضاع السياسية والعسكرية والادارية والاقتصادية، بغداد ، مطبعة الارشاد، ١٩٧٩ .

٥- زكي صالح، بريطانيا حتى عام ١٩١٤، بغداد، ١٩٦٨،ص ص١٥٣-١٦٠.

٦- سليمان فيضي ، مذكرات سليمان فيضي،من رواد النهة العربية في العراق، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، لندن، دار الساقي ،١٩٨٨

٧- شكري محمود نديم ، سير عمليات الاحتلال عسكريا احوال العراق في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤- ٩١٨، من كتاب: المفصل في تاريخ العراق المعاصر ، بغداد، بيت الحكمة،٢٠٠٢.

٨- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مج٢ ، ج٤، من عام ١٩١٤- ١٩١٨، بيروت ، ١٩٦٢.

٩- علي ناصر حسين ، مقاومة العراقيين للاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٧، ضمن كتاب : المفصل في تاريخ العراق المعاصر، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٢

١٠- غسان العطية، العراق نشاة الدولة ،لندن ، دار السلام ،١٩٨٨

١١- محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة، ج٢ ، البصرة ١٩٧٢.

١٢--صالح محمد العابد ، مقدمة في تاريخ العراق عبر العصور، كتاب ير منشور، بغداد، ١٩٩٩.

١٣-يوسف رزق الله غنيمة، تجارة العراق قديما وحديثا، بغداد ، ١٩٢٢

المصادر الاجنبية

1--61-Arnold Wilson, Loyalties of Mesopotamia ,1914- 1917,1917-1920,Oxford,1963,vol.1.

2- Charles Tripp,A History of Iraq ,2nd ed., Cambridge ,Cambridge univ.press,2002

3--Halford Lancaster Hoskins ,British Routes to India ,London ,Frank Cass& Co.LTD.

4--Visit of Sayyed Talib Consul.Crow ,Basra,(FO 371,1788) ,in Reords of Iraq 1914- 1966, vol.1914-1918,edited by Alan de L. Rush, London, Archive Editions,2001

5-Keiko Sakai ,Political Parties and Soial Network in Iraq 1908- 1920,Unpublished M.A.thesis,Univ.of Durham,Faculty of Social Sciences, Januaryy,1995

6--Phebe Marr, The Modern History of Iraq,London, Westview Press,1985,

7-Sir L. Mallet Telegraph to Sir Gery, dated 7th October,1914.

البحوث المنشورة

١-صالح محمد العابد ، هل استهدفت الحملة الفرنسية على مصر غزو الهند، دراسات في التاريخ والاثار، العدد ١ ، ١٩٨